١٦٨

روايات احلام

رجل الغروب

www.elromancia.com

مرمرزيـــة

روايات احلام

رجل الغروب

تعوّد راند لوماكس دوماً أن يأخذ في الحب دون أن يعطي... ولم يكسر القاعدة مع دانيالا ماكولي، فقد لاحقها دون كلل ولم يوفّر أسلوباً في سبيل تحقيق هدفه من الضغط والتهديد إلى الغش والابتزاز حتى نجح في التغلب على مقاومتها.

كانت دانيالا تظن نفسها فتاة عمل سعيدة بحياتها ولا تكترث بالرجال، فكيف ستواجه خروج راند لوماكس من حياتها بسرعة كما دخلها، بعد أن استولى على قلبها في أسابيع ثم تركها وترك قلبها محطماً؟

وحاولت يائسة أن تتشبث بسراب أمل:

- أنا أحبك... فدعني أحاول مساعدتك! دعني أحاول لأجل المرأة التي قد تحبها يوماً...

- أنا لا أحبك دانيالا... ولن أستطيع إكمال الطريق، لا معك ولا مع غيرك...

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل.	الإمارات	مصر ٤ ج.	ليبيا
سوريا ٧٥ ل.س.	قطر ٦ ر.	المغرب ١٥ د.	اليمن
الأردن ١ د.	البحرين ٦٠٠ ف.	تونس ٢ د.	السودان
الكويت ٥٠٠ ف.	السعودية ١٠ ر.	عمان ٦٠٠ ب.	العراق

١ ـ انتبهي يا دان!

كان هناك أوقات تتمنى فيها لو لم تسمع باسم [redacted] الفاريز. لكن من في عالم الفن لم يسمع به؟ صحيح أن الرجل مات منذ [redacted] سنة، لكن كما الحال دائماً مع الفنانين فقد تعاظمت شهرته بعد وفاته. وأي إنسان يملك لوحة، رسمة، أو حتى مسودة رسم له، كان يتمسك بها إذا امتلك حساً بالفن الرفيع.

وضعت دان ماكولي مرفقيها على منضدتها، تتفحص بحذر شديد ودقة متناهية، الطبعات التجريبية لمعرض أعمال الفاريز القادم.. وهي تقلب آخر صفحة، كانت ابتسامتها عريضة وشعرها الأحمر المسمرّ يلتف حول وجهها.

ـ لاأصدق هذا! لا أصدقه!

رفعت رنة صوتها رأس سكرتيرتها بحدة..

سألت روث تيلر بجفلة: ماذا؟

لم يكن من عادة دان أن تتكلم بمثل هذا الحماس.. بالنسبة لروث، رئيستها مثال الكفاءة، القدرة، البرود والهدوء.

لوحت دان بحزمة الأوراق في الهواء: هذه الطبعات التجريبية أقرب للكمال مما رأيته يوماً.. أعني أن عمال الطباعة أنجزوها بشكل صحيح!

ضحكت روث: المعجزات لن تتوقف أبداً.

ثم أعادت اهتمامها إلى طباعتها وأصابعها تتطاير فوق المفاتيح على آلتها الكاتبة. وراقبتها دان.. إنها جوهرة محبوبة. إنها قادرة على القيام بعمل دان كما تقوم به هي نفسها.. لكنها لن تقوم به.. فدان لديها

درجة جامعية، أما روث فلا.. هكذا هي الدنيا.. دان في الواقع هي دانيلا ماكولي، بكالوريوس في الفنون.. ولقد أمضت ثلاث سنوات في معهد الفنون التطبيقية في نيوكاسل، أكسبتها هذا اللقب بجدارة.

كانت مساعدة شخصية للسيد تشارلز رينغتون.. المدير والرأس المدبر لمعرض الكلية.. الذي هو جزء من مدرسة الفنون وملك لها.. لم يكن القصد من المعرض المكسب المادي.. في الواقع كان هذا المعرض طموحاً كبيراً.

مع أن دان مرت بها أيام تمنت فيها أن لا تكون قد سمعت باسم فيليبي الفاريز، إلا أن هذا اليوم لم يكن من بينها.. كان هناك الكثير مما يجب فعله.. الكثير من التحضيرات.. ونظرت مرة أخرى بحذر شديد إلى الطبعة التجريبية، غير قادرة على تصديق أن الأمور بدأت تسير بسهولة.

ـ فيليبي الفاريز.

تلفظت بالاسم بصوت غير مسموع وهي تتابع تفحصها وتعيد التدقيق.. لقد مات الرسام في سن الخمسين، منذ خمس وعشرين سنة. كان نصف إنكليزي، ونصف إسباني.. أمضى سنواته الأولى في اسبانيا في فقر مدقع.. في الثالثة عشرة من عمره، هرب من منزل والديه واختفى لسنوات عديدة، يسافر ويعمل فيما لا يعلم سوى الله ما هو ليكسب قوته.. تفاصيل تلك السنوات من حياة الفنان غامضة. لكن، في سن التاسعة عشر، عاد إلى الظهور وهذه المرة في انكلترا، حيث بقي فيها وأمضى وقتاً في معهد الفنون، وفي المؤسسة هذه عينها.. ولهذا سيكون المعرض مثيراً للاهتمام وناجحاً.

في هذا السياق، المعرض مدين لراند لوماكس من بين أشخاص آخرين. لقد أعار المشرفين على المعرض سبع لوحات للفنان، كلها من مجموعته الخاصة.. واللوحات السبع، حسب قول رئيس دان، لها معنى خاص لمالكها.. لذا فإن إعارته تلك اللوحات هو إيماءة لطف فهناك

دائماً مخاطرة في عملية النقل والمعاملة، وكان قيد التساؤل ما إذا كان راند لوماكس سيعير لوحاته لولا أنه صديق شخصي للسيد رنغتون.. ودان لن تعرف الرد على هذا أبداً.. لم تكن تعرف الكثير عن الرجل، ولم تقابله من قبل. كلمته مرة واحدة باختصار، عبر الهاتف حين لم يكن رئيسها موجوداً.

لكن، بالطبع، كانت تألف اسم لوماكس منذ زمن حتى قبل بدء عملها في الكلية منذ سنة. إنه يمتلك عدة صالات عرض فنية في لندن ومكتبة في فرع «ماي فير».. وتعرف كل الفروع، ولطالما جالت فيها كلها خلال السنتين اللتين عاشتهما في لندن، ولو أنها لا تستطيع تحمل شراء اللوحات التي تتعامل بها معارض لو ماكس.. اللوحات التي تحب أن تملكها لن تكون أبداً ملكاً لأشخاص مثلها.. ذوقها الخاص رفيع المستوى، لكن مرتبها صغير! مع ذلك فهي تحب عملها.

كان هناك لوحة واحدة لفيليبي الفاريز من مجموعة راند لوماكس، تحبها دان كثيراً.. كان اسمها «السيدة ذات الرداء الزهري» وهي لوحة لامرأة جميلة شقراء الشعر، في منتصف العمر.. أما من هي تلك السيدة، فلا أحد يعرف. إذا كان السيد رنغتون يعرف، فلم يقل لها شيئاً حين أبدت له اعجابها بها.. كانت اللوحة قد وصلت الى صالة العرض مع اللوحات الست الاخرى، كي تصور وتوضع في الكاتالوج.. وقد شهقت إعجاباً حين رأتها.

ـ إنها جميلة! والسيدة جميلة! من هي عجباً؟

لكن السيد رنغتون لم يرد عليها، وكأنه لم يسمع السؤال.. كان فيها شيء ما جعل دان متأكدة أن فيليبي الفاريز كان يحب تلك السيدة التي وقفت له ليرسمها.

حين تكلم رئيسها أخيراً، كان وكأنه يحلم: يجب أن ترى بقية مجموعة راند، دان.

كم ستحب هذا! لكنها لم تقل بل ابتسمت في نفسها وهي تشعر

بالحسد في صوت رئيسها.. محب آخر للفن، قليل الكلام.. هذا كان إلى بضعة أسابيع مضت.

ـ دان؟ ما الأمر؟ هل وجدت غلطة ما؟ لم هذه الجدية؟

رفعت دان رأسها لترى سكرتيرتها تراقبها ونظرة قلق على وجهها.. فضحكت: لا.. لا.. لا شيء.. على الأقل، لو كان هناك أخطاء فأنا لم أرها..

هزت روث رأسها: إذن لماذا العبوس؟

ـ كنت أفكر بالسيد رنغتون.

كان هناك هزة رأس متفهمة أخرى قبل أن تبتسم روث،

ـ إنه يمر بفترة طفولة ثانية!

وضحكتا واتسعت عينا دان المتموجتان بين البني واللوزي مع نور ذهبي، وأشرقتا. إنهما عينان رائعتان مذهلتان، هذا ما يقوله لها الناس دائماً. كانت قسماتها ولون بشرتها مذهلة.. شعرها بلون متدرج غير عادي ما بين الأسمر والأحمر المخطط، مع بضع خصل من الأصفر الكهرماني والذهبي القاتم والنحاسي. أما بشرتها بالمقارنة، فقد كانت تبدو أكثر بياضاً مما هي، ناعمة، موشاة بالنمش.. وآه كم تكره هذا النمش! في رأيها مظهرها بعيد جداً عن المميز، بفضل النمش المنتشر في كل مكان من جسمها وليس في وجهها فقط.. لكن، ومرة أخرى، كان الناس يرددون لها أنها فتاة جذابة. في الثالثة والعشرين تستطيع الآن اعتبار نفسها امرأة.. لكن جذابة؟ حسناً إنها ملفتة للنظر لأنها مختلفة، وهذا كل شيء. هناك أشياء كثيرة يمكنها أن تبدلها لو استطاعت.. تفضل مثلاً أن تكون دون نمش وأن تكون أقصر بقليل من مئة وخمس وسبعين سنتمتراً، ولها صدر ممتلىء أكثر! وتفضل كذلك أن تكون أثقل وزناً بخمسة أو ستة كيلو غرامات، ولها ثنايا مستديرة بدلاً من زوايا قائمة.. لكن لا شيء يمكن أن تفعله في كل هذا.. إنها كما هي، ولا تفتقد الثقة بنفسها لأنها ليست المرأة المثالية.. هناك بعض المميزات

لشكلها هذا، فالثياب كانت دائماً تبدو رائعة عليها مثلاً.

تجهم وجه دان مجدداً مع استدارة روث إلى طابعتها، وقد تلاشى الضحك منهما معاً. لقد آن وقت الذهاب لرؤية السيد رنغتون.. لقد كانت فكاهة روث غير مقصودة.. حسناً.. السيد رنغتون يمر بنوع من التغيير في شخصيته منذ أسابيع.. فقد دخل صباح يوم ووقف في المكتب الخارجي الذي تشارك فيه دان روث، وأعلن بصوت وطريقة غير معتادتين منه.

ـ حسناً يا فتيات.. لدي أخبار لكما! سوف أصبح أباً! كيف يبدو لكما هذا؟

وضرب بيده على صدره متفاخراً.. وأكمل واقفاً كالأبله، الأمر البعيد جداً عنه: حسناً دان؟ روث؟ ماذا لديكما لتقولاه؟

لم تستطيعا قول شيء.. كانتا مبتهجتين طبعاً، كلاهما تحبه على طريقتها. لكن هذا لم يكن السيد رنغتون الذي تعرفانه، في الواحدة والخمسين، رزين، جاد إلى أبعد الحدود. مسكين السيد رنغتون وسعيد الحظ معاً! لقد تزوج لأول مرة منذ ثلاث سنوات.. وتعرفان أنه متزوج من امرأة تصغره بعشرين سنة.. لقد قابلتا كاترين رنغتون مرتين أو ثلاثة.. وما لا تعرفانه أن الزوجين كانا يحاولان بيأس الإنجاب.. لكن كيف يمكن لهما أن تعرفا مثل هذه التفاصيل؟ فالسيد رنغتون ليس من النوع الذي يتكلم عن حياته الخاصة، كما لم يتطفل يوماً على حياة أحد.. لكنه في ذلك الصباح الميمون، أخذ يتحدث لأول مرة كيف أنه أراد إنجاب طفل منذ تزوج كاترين.. وكان كلامه مؤثراً حقاً، هذا عدا أنه كان كلاماً مفاجئاً.

منذ ذلك الصباح، وتشارلز رنغتون لم يعد إلى ما كان عليه.. في العادة، كان حذراً، حكيماً في عمله، ومتمسكاً بالتفاصيل، ويتفحص ويعيد التفحص مرة أخرى.. أما الآن.. فهو متساهل بعض الأحيان! مؤخراً كانت دان هي التي تلاحقه حول أمور محددة، بدلاً من العكس.

وهو الآن يتوقف قليلاً في مكتبهما ليضيع الوقت في حديث خفيف، وربما بعض النكات التي في أغلبها لم تكن مضحكة.

كانت المرة الأولى التي تدخل عليه فيها دان صباح هذا الاثنين، فهو كالعادة وصل قبلها وبادرها قائلاً: لقد أشترينا العربة المهد.. ستصل يوم السبت.

ابتسمت دان تتقدم مباشرة إلى منضدته وتضع الطبعات التجريبية أمامه: أنت لا تترك للعشب مجالاً كي ينمو لوحده.

ـ إنها كحلية اللون.. موديل دولوكس.. بالطبع. بمظلة بيضاء وإطار أبيض وكحلي.

كيف يمكن لأحد أن يقول شيئاً في وصف عربة أطفال؟

ـ تبدو.. لطيفة جداً.

ـ لن يصل السرير حتى الشهر القادم.. قلت لك هذا.. أليس كذلك؟ سنكون جاهزين في الوقت المناسب.. كل شيء سيكون جاهزاً.. كاترين انتقت ورق الجدران لغرفة المولود، ولسوف نبدأ في تغييره نهاية الأسبوع القادم، أعني أنا سأغيره.. لقد قلت لها إن عليها أن ترتاح.

وكأنما يتكلم مع نفسه.. وفكرت دان بعطف. إنها سعيدة لأجله كثيراً. لكنه بعد انتهاء كلامه أخذ ينظر إلى النافذة وكأنه مسحور بقطرات المطر التي تنقر الزجاج.. نظرت إلى مؤخرة رأسه التي بدأت تتلون بالرمادي ومقدمته الصلعاء وتساءلت.. لقد تزوج في الثامنة والأربعين، فلماذا تأخر هكذا؟ هناك قصة ولن تعرفها أبداً.. هل أحب امرأة قبل كاترين؟ أحبها وفقدها ربما؟

فجأة قال وظهره لا زال إليها: أتعرفين؟.. لم أكن أنوي الزواج.

ـ سيد رنغتون.. هذه النسخة التجريبية وصلت اليوم.. ولقد راجعتها بدقة متناهية و...

ـ لكنني لست حصيناً.. ما من أحد لديه هذه المناعة.

استسلمت وهي محرجة، وجلست على كرسي تطوي ذراعيها حول

صدرها تسأل وتنتظر: منيع؟

استدار في كرسيه الدوار ينظر إليها.

ـ ضد الحب.. لقد وقعت في الحب.. وهذا يا عزيزتي ما حصل.

ـ هكذا إذن.. فهمت.

ـ هل أحببت من قبل؟

يا له من سؤال.. وهزت رأسها نافية.

ـ إذن، لا.. أنت لم تفهمي شيئاً.

لم تكن دان تنوي معارضته، فلا جدوى من هذا.. وأشارت إلى الأوراق المطبوعة.

ـ هل لك أن تراجعها؟ لقد وعدنا السيد لوماكس بنسخة حالما نطبعها.

أتى استخدام اسم راند لوماكس بتغيير لرئيسها.. فقد عاد كما كان: مديراً للمعرض.

ـ هذا صحيح.. وسأرى في هذا الأمر.. سيحصل على نسخة في الحال.

وقفت دان: إذا تركتني أعرف ما إن تتفحصها..

ـ ألم تقولي إنك راجعتها بكل دقة؟

لقد سمعها إذن!

ـ أجل، وعشر مرات.. لقد وعدتك.. يمكننا إرسالها إلى السيد لوماكس بثقة.

ـ حاولي استخدام مغلف بذلاً منها.

ـ ماذا؟ أنا..

أوه.. يا إلهي إنها فكاهة أخرى منه! وأجبرت نفسها على الابتسام: سأرسلها في البريد حال أن تراجعها.

فاجأها مرة أخرى، ودفع الرسومات إليها: لا بأس في هذه.. أنا أثق بك، وتعرفين هذا.

لكنها أصرت أن يراجعها بنفسه.. هناك سبع رسومات ولن ترسلها قبل أن يطلع رئيسها عليها!

هز تشارلز رأسه: حسن جداً.. أنت على حق، سأتفحصها فوراً.

بعد عشر دقائق دخل مكتبها:

ـ إنها رائعة دانيالا.. في الواقع.. إنها أفضل ما رأيته حتى الآن.. لا بد أن عمال الطباعة أصيبوا بنوبة براعة مفاجئة.. بإمكانك إيصال نسخة إلى راند فوراً.. لكن لا ترسليها بالبريد.. أرسليها في سيارة أجرة.. لا.. أنت خذيها بنفسك. لدي لفافة في مكتبي، وهي قابلة للكسر.. وأفضل أن تتعاملي أنت بها.. والآن أفضل من أي وقت آخر.

عاد إلى مكتبه وأحضر اللفافة.

كان بإمكانها أن تسير حتى مكاتب لوماكس الرئيسية في شارع «ماي فير».. لكن هذا سيطول، ثم إن لندن مكتظة جداً بالسواح، ولا تريد أن يدفعها أحد وتوقع اللفافة بمحتوياتها السريعة الكسر.

بسبب المطر، وجدت صعوبة في إيقاف سيارة أجرة.. وقفت في الشارع والمظلة في يدها والكيس المحتوي على المطبوعات تحت إبطها، واللفافة في اليد الأخرى.. تتساءل لماذا لم تفكر بإرسال بديل عنها.

ما إن أصبحت داخل كاليري لوماكس الدافىء، حتى قدمت نفسها إلى إحدى الموظفات التي أرشدتها نحو مؤخرة المحل، ثم صعوداً على السلالم، نحو المكاتب.. كان هناك طابق آخر فوق المحل، على الأرجح شقة، فقد كان هناك باب عند المجموعة الثانية من السلم.. باب مكتوب عليه خاص، فهل هذه شقة خاصة للسيد لوماكس؟ منزله في المدينة؟ ربما هو أعزب؟ ليس لديها فكرة.. هذا غير محتمل.. ليس هناك رجال كثر يصلون إلى مثل عمره دون زواج.

هكذا أخذ دماغ دان يعمل وهي تدخل المكتب في الطابق الثاني.. قرعت وفتحت الباب الأول الذي وصلت إليه.. كان هناك ثلاثة أبواب لا إشارات عليها.. وكان هناك مفاجأة في انتظارها: سيلڤيا! سيلڤي!

ماذا تفعلين هنا؟

أجيبت بابتسامة عريضة من الفتاة الأخرى: بإمكاني أن أسألك السؤال عينه!

كانت لهجة سيلڤيا الأوسترالية المميزة مخففة بالضحك..

مضت دقائق قبل أن تتفاهما جيداً.. فالاثنتان لم تريا بعضهما منذ أكثر من سنة، بل الواقع ما يقارب السنتين. فقد عملتا معا لوكالة توظيف واحدة.. انضمت إليها دان بعد انتقالها إلى لندن.. كانت قد أمضت ردحاً من الزمن تبحث عن وظيفة مناسبة، تقوم بأعمال متقطعة في هذه الأثناء.. بينما سيلڤيا تراينر وهي تعملان معاً في مكاتب مؤسسة تجارية في المدينة.. وكان عملاً مملاً لدان.

ـ جئت من معرض الكلية الفني.. ليس معرضاً تجارياً مثل معرض لوماكس، إنه جزء من المعهد.

ـ أوه.. أنت تعملين هناك إذن! هل هو عمل دائم؟

ـ منذ أكثر من سنة.. وأحبه. إنه العمل الذي بحثت عنه لأشهر.. وأنت؟ كيف جئت إلى هنا؟ ومن يوجد هنا؟ راند لوماكس؟ أم سكرتيرته؟

ـ أنا سكرتيرة السيد لوماكس.

بدت الحيرة على وجه دان.. فالصوت الذي كانت تسمعه على الهاتف لم يكن صوت سيلڤيا تراينر، فلهجتها الأوسترالية لا يمكن الخطأ بها.

ـ منذ متى؟

ـ منذ أسبوعين.. ونصف يوم تقريباً.

ـ لكن..

ـ لا زلت أعمل بالإعارة أيتها البلهاء.. سكرتيرة السيد لوماكس مريضة، وهي غائبة الآن منذ ثلاثة أسابيع.. لا بأس عليك، ليس في الداخل أحد.. هذا مكتب الرجل الكبير، لكنه لا يحضر صباح الاثنين

أبداً.. سيأتي بعد الغداء، إذا أردت رؤيته..

- لا.. ليس بالضرورة.

أخرجت الملف من حقيبتها، ووضعت الفتاة الأخرى في الصورة، تشرح أمر إعارة اللوحات فواضح أن سيلڤيا لا تعرف عن الأمر شيئاً.. ثم أنهت: وهذه نسخة عن الكاتالوغ.. لأنه يريد رؤية نسخة في أسرع وقت ممكن.

هزت سيلڤيا رأسها دونما اهتمام، وسألت: ما رأيك به؟

- من؟ السيد لوماكس؟ أنا لم ألتق به في الواقع.. كلمته مرة باختصار، وهذا كل شيء.. وأستطيع أن أقول إنه بدا متزمتاً جداً.

تعالى ضحك سيلڤيا: هذا ما وصفته به في سري.. المتزمت! أتعرفين في الأسبوع الذي سبق مجيئي إلى هنا، عمل لديه أربع سكرتيرات بالإعارة خلال خمسة أيام.. العمل معه كالعمل مع الشيطان!

رفرفت دان عينيها بذهول: ولماذا بقيت إذن؟ أنت سكرتيرة مؤقتة، بإمكانك ترك العمل إذا..

- لكن العمل مثير للاهتمام.. متنوع، لا يوجد فيه لحظة ملل.. صحيح أنه قاسي، لكنني لا أمانع..

دون وعي منها مال رأس دان إلى جانب واحد... وجلست على حافة المنضدة الواسعة الفخمة، وقد ثار اهتمامها.. كان اللمعان في عيني الفتاة، معدياً.. وضحكت دان: كيف لك أن تعرفي الكثير ولم يمض عليك هنا سوى أسبوعين؟ أعرف أن السيد لوماكس كثير التجوال وقد يكون هذا مكتبه الرئيسي، لكنه لا يوجد دائماً هنا.

- هذا صحيح.. لكنني يجب أن أعرف تحركاته أليس كذلك؟ أعرف الآن أنه في «كوتسولد» مع سيدته الصغيرة..

نظرت إلى ساعتها مجدداً: سأصحح هذا.. فهو على الأرجح يعود الآن إلى لندن.

- سيدته الصغيرة؟

أخفضت سيلڤيا صوتها: لديه عشيقة مخبأة! لقد كلمتها بنفسي.. صوت مثير لم تسمعي مثله من قبل! ولقد اتصلت إلى هنا أكثر من مرة منذ عملت له.. اسمها ميرلن. كانت تقول: قولي له فقط ميرلن.. على أي حال، يترك العمل هنا وقت الغداء كل يوم جمعة، ويعود ظهر الاثنين.. ولقد أعطاني رقم هاتف «كوتسولد» وقال إن بإمكاني الاتصال به إذا كان هناك سبب طارىء.

هذا النوع من القيل والقال خطأ.. دان تعرف هذا.. إلا أنها لم تستطع منع نفسها من الاهتمام.

- إذن.. هو أعزب..

- ومزمن.. مما استطعت معرفته.

ابتسمت دان، تفكر بالكلمات التي استخدمها رئيسها منذ وقت قصير.. قد يكون السيد لوماكس قد وصل سن الخمسين دون أن يقع في الشرك، لكن: «ما من أحد منيع».

- هه؟

هزت دان رأسها المجعد الشعر وتعالى ضحك الفتاتين.. ثم نظرت إلى ساعتها:

- آسفة.. كنت على موجة أخرى من التفكير.. من الأفضل أن أعود إلى العمل.

- اسمعي.. الساعة تقارب الثانية عشرة والنصف، ولك ساعة غداء. لماذا لا تأخذينها الآن ونتناول الطعام معاً؟ يمكننا الحديث فيما كنا نفعل منذ..

- آسفة.. لدي موعد على الغداء.

في الواقع لم تكن آسفة.. فمع أنها عملت مع سيلڤيا لأكثر من شهر وأحبتها، إلا أنهما لم تصبحا صديقتين حميمتين والسبب أساساً أن لا شيء مشترك بينهما.. حياة دان الاجتماعية تختلف عن حياة سيلڤيا بشكل كبير. فسيلڤيا تخرج طوال الوقت، تحضر الحفلات، تسهر وتختلط

بالناس، بينما دان لها حياتها الخاصة الهادئة ما عدا حبها للتمثيل الدرامي..

بدا العجب على سيلڤيا: شخص مميز؟

ـ لا.. لا.. إنه جاري، هوارد غالايز.

ـ إذن لا زلت تقابلينه؟ أذكر الاسم..

ردت بسرعة: لا تستنتجي شيئاً.. فلا شيء هناك. نحن عضوان في جمعية التمثيل الدرامي.. إذا كنت تذكرين.

ـ أذكر. إذن لا زلت ملتزمة بالجمعية.

ـ أنا أتمتع بالتمثيل.. المرء يحب ما يثيره، كما يقال.

ـ ويقال كذلك أن هناك أشياء مثيرة مختلفة. آه.. حسناً، في وقت آخر ربما.. رائع أن أراك...

لم تلحظ أي منهما أنهما مراقبتان، كانت كلتاهما تنظران إلى الباب الداخلي الموصل إلى باب رئيس سيلڤيا.. لكن لم تستدر أي منهما لتنظر إلى الباب الخارجي.. وهناك كان راند لوماكس يقف بصمت، يستند إلى إطار الباب. يداه في جيبي بنطلونه وتعابير وجهه جامدة.

ـ ورائع أن أراك كذلك.

ما إن أنزلت دان مؤخرتها عن طرف المنضدة، حتى تمكنت سيلڤيا من رؤية الباب الخارجي.. فتنحنحت بصوت مرتفع، جعل دان تنظر إليها بسرعة.. لاحظت على الفور التوتر المفاجيء على وجهها.. واستدارت بقلق تتبع عيني الفتاة الأخرى بتوتر نحو الباب.

بسرعة، استقامت دان، ترفع قامتها الكاملة. تملس بحركة آلية تنورة البذلة الخضراء الزمردية التي ترتديها.. ولم يخطر ببالها أبداً أن يكون الرجل الواقف بالباب هو راند لوماكس أبداً.. مثل هذه الفكرة المجنونة لم تدخل رأسها أبداً.. فقد ظنته زبوناً يريد رؤية مالك المعرض.. قبل أن يقال أي شيء، كان لديها الوقت الكافي لتسجل الوسامة الصادمة للرجل الواقف يسترق السمع.. أشقر، أزرق العينين، ينقل بصره ببرود من

سيلڤيا إلى دان، دون أن يحرك عضلة من كل جسمه.. كان جسمه الضخم يكاد يملأ المدخل، ولا بد أن طوله يقارب المئة وتسعين سنتمتراً على الأقل.

تنحنحت سيلڤيا مرة أخرى متوترة: آه.. سيد لوماكس.. أعتقد أنك لم تقابل الآنسة ماكولي.. دان ماكولي، من معرض الكلية.

سقط فك دان إلى الأسفل، وانفتح فمها بطريقة خرقاء غير محترمة، وارتدت عيناها إلى عيني الفتاة الأخرى تظنها تمزح.. لكن سيلڤيا لم تكن تمزح.. ولم تكن تنظر إلى دان، بل تراقب الرجل بلهفة وهي تكمل تعريفها: دان.. هذا راند لوماكس..

وقفت دان مسمرة في مكانها مثل الرجل الواقف بالباب تماماً.. لماذا وكيف افترضت أن راند لوماكس هو من عمر تشارلز رنغتون؟ إنه أصغر بسنوات! لماذا افترضت طوال هذا الوقت، لأن الرجلين صديقان، أنهما لا بد أن يكونا متماثلين سناً؟ هذا غير منطقي.. غير منطقي أبداً!

تحركت نحوه ويدها ممدودة، تستعيد رباطة جأشها بصعوبة.

ـ سيد لوماكس.. كيف حالك..

قاطعها بفظاظة متجاهلاً يدها: دان؟

طافت عيناه بها.. نظرته باردة، عيناه قطعتي ثلج أزرق:

ـ ما هذا الاسم؟

هبطت يدها إلى جانبها: دانيالا.. اسمي دانيالا.

ـ حسناً دانيالا.. ماذا تفعلين هنا؟

كان ظهرها لسيلڤيا، لكنها لم تكن مرتاحة أبداً.. أحست وكأنها ضبطت وهي تقوم بعمل مشين.. وكرهت هذا.

ـ لقد جئتك بلفافة من السيد رنغتون.. ونسخة من الطبعات التجريبية للوحات كما طلبت، نسخة الكاتالوج.

ـ عرفت أنك تعنين الكاتالوج دانيالا.. وبعد؟

ـ بعد.. سأذهب في طريقي الآن.

ستتمكن من هذا لو ابتعد عن طريقها! كان لا يزال يسد المدخل بجسمه الضخم.. وأكملت: عن إذنك!

لم يعجبها تصرفه.. لم يعجبها أبداً!

ـ أفهم أنها موضوعة بالترتيب دانيالا.. أعني النسخة؟

ارتفع سخطها: طبعاً!

بالنسبة للوحاته على الأقل.. كل الحواشي، التواريخ، التفاصيل صحيحة.. ولقد تأكدت قطعاً منها.

وتحرك جانباً ليسمح لها بالمرور.

ـ ممتاز.. نهارك سعيد.. دانيالا.

انتزعت نفسها من نظرته واستدارت تلوح باختصار لسيلفيا، ثم أسرعت مهرولة عبر الممر تشعر بالحرارة والغضب من نفسها.. كم سمع من حديثها مع سيلفيا؟ بحق السماء، هل سمع ما قالتاه عنه وعن عشيقته؟

هذه غلطتها هي.. إنها كانت تخوض في أسرار الناس.. أو على الأقل تصغي إليها. الأمر المزعج هو أنها كانت مهتمة بالحياة الخاصة لراند لوماكس! ماذا يهمها إذا كان يعمل بقسوة.. أكان له عشيقة، أم اثنتين.. أم عشرين؟ لقد ثار فضولها فقط لأنها كانت تعتقد جازمة أنه مثل رئيسهامن العمر ذاته، والصنف ذاته.

الآن وقد التقت به، لم يعد يدهشها أن يكون زير نساء.. فرجل له طلعته هو.. لكن لماذا هي قلقة؟ لماذا تسمح لنفسها بأن ترتبك هكذا؟ وأن يلاحظ ارتباكها؟ كان يجب أن تتعامل مع الصدمة بدلاً من الوقوف كالبلهاء فاغرة الفم! بلهاء!

بل أسوأ.. كانت على وشك أن تكون فظة معه.. وكم كان هذا مغرياً!

عادت دان متصلبة إلى عملها.. كان المطر لا يزال ينهمر خفيفاً.. زررت سترتها تلعن الصيف الإنكليزي في سرها. إنه أوائل حزيران.. مع

ذلك، فمن يعرف هذا؟ كانت السماء رمادية، والريح الباردة تهب.. تابعت سيرها تنظر إلى ساعتها. ستصل المكتب في الوقت المناسب لمقابلة هوارد..

كان ساخراً. لقد استخدم اسمها في كل جملة تلفظ بها.. دانيالا. قالها ببطء، وكأنما يشير أن لا أحد يجب أن يناديها بهذا الاسم.. دان.

في المكتب، فوجئت أن هوارد ليس هناك. إنها الواحدة وخمس دقائق وهو في العادة دقيق المواعيد.. لكن ما إن رأت مذكرة على منضدتها، حتى أدركت أن الخطط قد تغيرت.. كانت ملاحظة روث مطبوعة، مضبوطة، ومختصرة: ذهبت إلى الغداء، وكذلك السيد رنغتون، اتصل هوارد ليقول إنه لن يستطيع الحضور، وإنه سيشرح السبب هذه الليلة.. ملاحظة: لقد أخذت بذلتك البيضاء وسأضعها في المصبغة لأجلك، لأوفر عليك الخروج تحت المطر.

جلست وراء منضدتها... هذه إيماءة لطيفة من روث، لكن عليها أن تخرج لتشتري سندويشاً.. إنها ليست من النوع الذي يستطيع الاستمرار في العمل طوال اليوم دون تناول شيء.. وهي تحتاج إلى بذلتها البيضاء لأجل حفل الزفاف في «كيندال» الأسبوع القادم.

وهي لا تزال مضطربة من مقابلتها لراند لوماكس، وقفت في الوقت الذي رن فيه جرس الهاتف.

ـ ظننت أن لديك موعداً للغداء.

على الفور تعرفت إلى الصوت، لكنها لم تفهم سبب اتصاله الآن.

ـ سيد لوماكس؟

ـ ليس غيره.. حسناً دانيالا؟

ها قد عاد ليركز على اسمها.

ـ أنا.. ألغيت موعدي.. السيد رنغتون ليس هنا.. سيعود في حوالى الثانية.

لم يعلق وكأنما لم يسمعها: ربما يكون اسم دان مناسباً أكثر، على أي

حال.

ـ أرجو عفوك؟

تغير صوته، منذ لحظة كان ساخراً ملؤه المرح، وها هو الآن ساخر غاضب.

ـ لقد سمعت.. دان.. أعتقد أنه مناسب.

وجدت نفسها تمسك السماعة بعيداً عن أذنها تحدق إليها.. كالبيغاء كررت: أرجو عفوك؟

ـ ماذا يقولون في الجزء الخاص بك من العالم؟

ـ جزئي الخاص من العالم؟

ـ حسناً.. هذا أفضل من تكرار جملتك الأولى. أعني الشمال.. ألست محقاً برنة لهجة الشمال في صوتك؟

لم يعجبها هذا.. كانت تحب أن تعتقد أن صوتها لا يحمل رنة أو لهجة. كممثلة هاوية، كان يسعدها الظن أن بإمكانها تبني كل اللهجات بملء إرادتها.. بكل أدب، لأنها مضطرة أن تضع في ذهنها من هو هذا الرجل وماذا يعني لرئيسها، قالت: هل لديك شيء محدد تفكر به سيد لوماكس؟ سؤال ما؟

ـ بل شكوى.. هذه النسخ التجريبية..

ـ ما بها؟ سيد لوماكس، أعي تماماً أن هناك بعض الأخطاء، لكن بالنسبة للوحاتك...

ـ فيها الخطأ الرئيسي.. «السيدة ذات الرداء الزهري»، هل لديك نسخة أمامك؟

بلمحة بصر، أدارت صفحات النسخة ووجدتها، وفتشت عيناها في الهامش القصير جداً: «السيدة ذات الرداء الزهري» بريشة فيليبي الفاريز، دون تاريخ. إعارة من «غاليري لوماكس» لندن.

قالت: لا شيء خاطىء في الهامش سيد لوماكس..

ـ بل كل شيء خاطىء، لا تقولي لي.. أنا أقول لك! لقد أعطيت

تعليماتي بشكل خاص.. وكتبتها أيضاً.. بالنسبة لهذه اللوحة، لا يجب ذكر مصدر الإعارة.. أنا لا أريد الإعلان عن ملكيتي لها.. هل فهمت؟

سمعت ما قاله، لكنها لم تفهمه. تصاعدت عشرات الأسئلة إلى رأسها.. أرادت أن تسأل لماذا لا؟ بالطبع لم تجرؤ فلديه عذره كما هو واضح: لكن..

ـ لكن لا شيء يا امرأة! الغي ذكر «غاليري لوماكس» وضعي ما كان يجب أن تضعيه أصلاً.. «مجموعة خاصة» لا شيء غيرها.

تملكها الغضب للهجته.. ومنعت نفسها من الرد عليه بقسوة، إنها لا تعرف شيئاً عن «المجموعة الخاصة» ولا عن «تعليماته المحددة».. لمن قال؟ أين هي رسالته؟

الرد واضح.. ونظرت دان إلى باب مكتب رئيسها.. على أي حال لن تكون عديمة الوفاء للسيد رنغتون بالقول لراند لوماكس إنها لم تتلق هذه التعليمات.. وإنها لم ترَ رسالته بخصوص اللوحة.

صرت على أسنانها وردت: أنا آسفة جداً سيد لوماكس.. أرجو قبول اعتذاري لهذا السهو.. سوف أهتم بإصلاح الخطأ فوراً.

ـ افعلي هذا.. وحافظي على الاتفاقات في المرة القادمة.

ـ أنا.. لست واثقة مما تعني.

ليست واثقة؟ ليس لديها أية فكرة!

ـ أعني أنني لا أريد ذكر اسمي للصحافة ليلة الافتتاح والمؤتمر الصحفي.. هذا ما أعنيه!

أغمضت عينيها تكافح للسيطرة على نفسها.. يا له من وقح! تشارلز رنغتون.. هذه غلطتك وليست غلطتي.. وبحذر، دون رغبة منها أن يزيد اقتناعه بعدم كفاءتها، قالت: طبعاً أعرف هذا سيد لوماكس.. أنت تعني بالنسبة لهذه اللوحة بالذات.. أليس كذلك؟

أجابها متذمراً: أوه.. بحق الله!

وأقفل الخط.

نظرت دانيا مصدومة إلى السماعة طويلاً. لقد أقفل الخط فعلاً! صفقت السماعة ساخطة.. ووقفت، تتمنى لو أن روث هنا لتنفس لها عن مشاعرها، وتخبرها عن الظلم الذي لحق بها من جرّاء كل هذا... السيدة ذات الرداء الزهري..؟ ما هو المميز فيها؟ أو الأصح لماذا لم يمرر تشارلز التعليمات لها؟ في وقت كتب تحت اللوحات الست الأخرى أنها إعارة من «غاليري لوماكس».. لماذا يجب أن يبقى مالك هذه اللوحة بالذات مجهولاً؟ هذا غير مهم.. ولا شأن لها به.. المهم.. لماذا لم يقل لها أحد شيئاً؟

لم تحصل على أي غداء.. بل جلست إلى منضدتها تغلي غضباً.. ثم لحقت بالسيد رنغتون إلى مكتبه ساعة عودته.. وكان غضبها قد زاد وأصبحت أكثر سخطاً مما يستدعيه الموقف.

ـ سيد رنغتون..

وروت على الفور قصتها.. وارتاعت عندما أدركت أن الدموع تحرق عينيها.

وكان اعتذار تشارلز سريعاً: أنا آسف دانيالا، إنها غلطتي.

ـ كان كريهاً.. فظاً جداً.. أعني، لو كنت أعرف، لو قيل لي.. لكان هذا من حقه! لكن كيف لي أن أعرف أنه يريد إبقاء ملكية تلك اللوحة سراً؟ ولماذا يريد هذا بحق السماء؟

ـ لست أدري.. ربما لأنها أمه.. أستطيع القول إن لهذا علاقة بالمسألة.

ـ أمه؟

هل هذه نكتة سخيفة أخرى من رئيسها؟

ـ أمه؟ السيدة ذات الرداء الزهري؟

ـ أجل.. أوه.. لست أدري! لم يحدثني يوماً عنها سوى بالقول إنها أمه، وأنا لا أعرفه جيداً إلى هذا الحد دانيالا.. لكن أستطيع أن أقول لك إنه رجل غريب الأطوار.

ـ ظننتكما صديقين؟

ـ أجل.. لكن هناك أصدقاء.. وأصدقاء! قابلته أول مرة منذ سبع سنوات حين استلمت الإدارة هنا.. علاقتي به عملية أكثر من اجتماعية.. إنه يمنح مالاً سنوياً للمعهد منذ سنوات، ألا تعرفين هذا؟

الأمور المالية للمعهد لا شأن لها بها: لا.. لم أكن أعرف! أوه.. يا إلهي!

ـ ما الأمر؟ هل كنت فظة معه؟ لا أريد الظن..

ـ لا.. لا.. المسألة فقط أنني أتمنى لو كنت أعرف المزيد عنه، هذا كل شيء.

ـ أنا آسف.. الآن اجلسي وسأتصل به لأشرح أن الأمر كان إهمالاً مني..

استجمعت دان نفسها: لا..! لا يهم.. أعرف الآن، وهذا هو الأهم. بصراحة، لا يهمني ما يظنه راند لوماكس بي.

نظر إليها بحدة: حسناً.. أنا يهمني.. فأنت تمثلين المعرض ولدينا صورة يجب أن نحافظ عليها. ولا أريد شيئاً أن يعرض للخطر..

وترك الجملة دون إنهائها، لكن دان لم تتركها وسألت: حب السيد لوماكس للعمل الخيري؟

ـ إذا كنت أسمع السخرية في صوتك، فهذا ظلم.. إنه فعلاً رجل خير.. وهذا أمر لا يتحدث عنه أبداً، لكن ثقي بكلامي.. هناك حبان في حياة راند، أحدهما الفن.

والآخر؟ النساء دون شك!

اتجهت إلى الباب.. ثم استدارت لتضيف تعليقاً لأنها لم تستطع أن تقاومه.

ـ ما كنت لأمانع كثيراً سيد رنغتون لو أنك لم تراجع النسخة.. لكنك راجعتها بنفسك.

رفع يديه: أعرف.. أعرف.

وعادت إلى مكتبها لتجد روث هناك..

ـ ما كان كل هذا؟ أصوات مرتفعة! لم أرك منزعجة أبداً كما أنت اليوم، دان! ما الأمر؟

ـ إنه راند لوماكس.. لا.. إنه السيد رنغتون في الواقع.

ابتسمت روث: إنه جميل.. أليس كذلك؟

مرت لحظات قبل أن تفهم دان ما تعنيه روث. إنها لم تكن تتحدث عن تشارلز.. هذا مؤكد.

ـ جميل؟

أليس هذا الوصف قوياً؟ وسيم بكل تأكيد.. صادم قطعاً.. لكن جميل؟

ـ لم أكن أدري أنك قابلته.

ـ عدة مرات.. ولو أنه لا يزورنا دائماً ولا حتى بانتظام.

هزت دان رأسها.. بالطبع روث عملت هنا لمدة أطول منها.

مع نهاية اليوم، كانت لأول مرة متشوقة لمغادرة المكتب.. ولأول مرة تتمنى لو أنها ليست مضطرة للذهاب إلى تمارين التمثيل. ولكن يجب أن تتمرن.. فآخر عمل «لباركلين بلايرز» يجب أن يظهر على المسرح في المستقبل القريب والتمارين زيدت من ثلاث ليال في الأسبوع إلى أربعة.

كان لدان الدور الرئيسي في المسرحية.. دور راقصة كبرت في السن وتكره ما تفعله، لكنها لا تعرف وسيلة أخرى لكسب عيشها.. وكان هوارد البطل.. فيما بينهما حوار طويل خلال حبكة الرواية.. وهذه الليلة سيتركز التمرين على بوح الراقصة بمكنونات نفسها إلى زبون دائم تجالسه.

وهي تعود إلى المنزل في رحلة صغيرة بالمترو تحت الأرض، أعادت التفكير بالجدال الذي دار بينها وبين هوارد حين طلب منها لأول مرة أن تحضر اجتماعات الفرقة وهم يقررون ما ستكون مسرحيتهم التالية..

عندما رجعت إلى أبعد من هذا، تذكرت أنها لم تكن ترغب أن تتورط

مع هوارد، بل حاولت أن تتجنبه. كان يعيش في الطابق الذي يعلو شقتها مباشرة.. في الطابق الثالث من مبنى أنيق في شارع هادىء من ضاحية «وست كنغرستون».. كل صباح، كان يعرض عليها أن يوصلها إلى العمل، هذا كان يوم كانت تعمل بالإعارة، وفي الشارع عينه الذي يعمل فيه.. وتوقف عرضه حين تغيرت مهمتها ولم يعودا يلتقيان معاً وهما يغادران المبنى في وقت واحد.. ثم وجد طريقة أخرى للحديث معها.. فقد رن جرس بابها وطلب منها الخروج معه، ورفضت.. مرات ومرات.

في أحد الأيام، وهي تجلس في الحديقة المشتركة خلف المبنى، جرى بينهما أول حديث حقيقي معاً. يومها أخبرها عن اشتراكه في المسرحيات الدرامية. حتى اليوم، لا شيء بينهما سوى الصداقة، مع أن دان تعرف جيداً أن هذا لا يعجب هوارد، ولكنها حازمة جداً في هذا الأمر.. وضحكت دان من نفسها.. إنها ناقدة بالنسبة للرجال عموماً، ويجب أن تعترف بهذا.. لقد تعرضت للنبذ مرة، ألا يفسر هذا كل شيء؟ لكن ربما هذا ظلم في حالة هوارد.. فهو يتقبل الرفض دائماً! إنه يعطي الانطباع بأنه خجول، مع ذلك فهو ملحاح بإصرار، بطريقته الهادئة...

على وجه العموم، صداقتها معه اتفاق رائع. كان يملك الشقة كما تملكها.. بمساعدة أبويها، أساساً بالمال الذي ورثته عن جدتها، تمكنت من شراء الشقة فور انتقالها إلى لندن، آتية من منطقة البحيرات يوم بدأت تشق حياة جديدة مختلفة لنفسها.. حين..

تنهدت، تهز نفسها لتخرج من ذكرياتها مع توقف القطار.. التفكير بالماضي شيء لا تهتم كثيراً به.. إنها تهتم بالمستقبل أكثر من الماضي.

اكتشفت أن المطر لا يزال منهمراً ساعة خرجت إلى الشارع، وكان لا زال يهطل في الساعة الحادية عشرة حين عادت تلك الليلة مع هوارد في سيارته إلى المنزل.. وقالت محتجة: متى سيتوقف المطر؟ أعني ماذا حل بصيفنا؟

ـ مرّ بنا يوم رائع في نيسان..

ـ هوارد.. أنا جادة. لقد سئمت هذا الطقس!

نظر إليها بسرعة: أنت في مزاج غريب طوال المساء.. ولا أعتقد أن لهذا دخل بالطقس اللعين.

أوقف السيارة في فناء المبنى: لا بد أن شيئاً أزعجك في العمل اليوم.

ما الفائدة من الإنكار؟

ـ أنت محق.. وقبل أن تسأل، الرد لا. لا أريد التحدث بالموضوع..

ـ حسن جداً.. كما تشاءين.

لمع شعره الأسود تحت نور المصباح وهو يخرج من السيارة.. واستدار ليفتح لها الباب.. دائماً السيد المهذب.. كانت هذه إيماءة صغيرة قدرتها له دائماً.. ووقفت تواجهه، لا أطول ولا أقصر منه بفضل الكعبين العاليين.

ـ شكراً.. وآسفة للتمرين.. أعرف أنني ما كان يجب أن أستعين بالنص في هذه المرحلة.

ـ بكل تأكيد.. هل ستدعينني للقهوة هذا المساء؟

ابتسمت فهي نادراً ما تدعوه.. هناك حدود بينهما لا يجب تجاوزها، ويعرف هذا.

ـ لا.. ليس الليلة، أنا متعبة.

أطرق برأسه قبولاً: حسناً.. دعيني أعتذر مرة أخرى بسبب الغداء اليوم.

ـ لا حاجة لهذا، أفهمك.

فقد كان غيابه كما شرح لها، ضغط عمل.. صعدا معاً أول مجموعتين من السلم إلى شقتها، متجاهلين المصعد كالعادة.. وقال: أيمكن أن نلتقي غداً في ذات الموعد؟

ـ لِمَ لا؟

ـ عمت مساء دان.

ـ عمت مساء.

بارتياح دخلت بيتها. ما تحتاجه الآن هو أن تنقع نفسها طويلاً في مغطس ساخن. ربما تعود إليها روحها المعنوية.. ومن يعرف؟ ربما ستشرق الشمس غداً.

وأشرقت.

بدأ يوم الثلاثاء بروعة.. استيقظت دان لتجد الشمس تتدفق عبر الستائر إلى غرفة نومها.. اغتسلت وارتدت ملابسها وتبرجت قليلاً في وقت قياسي. صحيح أنها غير مستعجلة، لكن معنوياتها كانت مرتفعة. وبدا لها الأمس وكأنه بعيد قروناً عديدة..

دخلت المكتب باكرة عشر دقائق: صباح الخير روث!

كانت تضحك لأنها حيت سكرتيرتها وهي لم تكن هناك بعد.. وماذا في هذا؟ من حقها أن تمرح في صباح جميل كهذا.. أليس كذلك؟ من سيعرف لو أنها أصيبت بحمى ربيعية متأخرة؟

الحياة جيدة.. وتمارين الليلة ستكون كاملة. الغداء مع هوارد سيكون لطيفاً.. مشاكل الأمس ستسوى بسرعة، وإلى الأبد.. كل ما عليها أن تفعل هو أن تلتقط الهاتف وتتصل بعامل الطباعة، وتسمع تأكيده أن تصليح النسخ تتم معالجته.

في تلك اللحظة، انفتح باب الرئيس: آه.. دانيالا.. لقد سمعتك تتكلمين مع أحد.

نظرت حولها وقالت بدهشة: ليس هناك أحد هنا سيد رنغتون.

هز كتفيه وقال: كاترين ليست على ما يرام.

اختفت الابتسامة عن وجهها: أنا.. آسفة لسماع هذا.

وتخوفت من التفكير كيف سيتحمل رئيسها لو.. وأكمل: إنها تستمر في القيء كل صباح.. ولا يعجبني هذا.

كيف السبيل لمنع نفسها عن الضحك؟

ـ لكن.. لكن سيد رنغتون! هل هذا كل شيء؟ أعني أن هذا أمر

طبيعي تماماً!

ـ هذا ما تقوله لي.. وهذا ما سمعته.. لكنه لن يفيد الجنين.. أليس كذلك؟ كل ذلك القيء؟

استمر النقاش، ولو كان لا جدوى منه، خمس دقائق.. وقامت دان بمهمة طمأنة الرجل المتوسط السن.. إنها لا تعرف شيئاً عن الحمل.. لكن حقاً! وارتاحت مع دخول روث وعودة تشارلز إلى مكتبه.

ظهر تشارلز مرة أخرى منتصف فترة الصباح وهو مختلف مرة أخرى، فقد تحدث إلى زوجته على الهاتف، وكل شيء عاد إلى ما يرام.. كاترين عادت طبيعية وتمنت دان أن تقول الشيء عينه عن تشارلز.. كيف سيصبح عندما يقترب موعد الولادة؟

عند الظهر تركت المكتب بعد أن استدعيت إلى المعرض لمعالجة مشكلة.. بعد أربعين دقيقة عادت، ولم تكد تجلس حتى انفتح باب مكتب السيد رنغتون وخرج منه السيد لوماكس، يلحق به السيد رنغتون محمر الوجه.

اتجهت عينا دان إلى روث بسرعة وكأنما تسألها متوسلة: لماذا لم تبلغيني بوجوده؟ وجاء الرد الصامت: لم تتح لي الفرصة!

ثم دونما إرادة اتجهت الفتاتان إلى الرجل الذي سيطر بوجوده على الغرفة.. بدا طويلاً بشكل غير معقول، ووقفت دان بسرعة، كل حركات جسمها دفاعية وهو يقف بثبات إلى جانب منضدتها تماماً: صباح الخير.. دانيالا.

ـ سيد لوماكس..

كانت روث على حق.. كان راند لوماكس جميلاً. كان يرتدي سترة بلون العاج، وبنطلون بني داكناً، وكنزة مرفوعة الياقة بذات اللون البني.. ذوق مكتمل.. ومع أن الثياب عادية، إلا أنها كانت تخلو من أية شائبة.

لاحظت دان كل هذا مع أن عيناها لم تتركا عينيه.. ولاحظت كذلك

قسمات وجهه: حاجباه الأشقران القاتمان، شعره الأشقر الفاتح، المختلط هنا وهناك بلون رمادي أبيض.. خط فكه القوي، الأنف المستقيم، فمه غير المبتسم لكن غير المخيف. عيناه كانتا ما أسر اهتمامها.. كانتا زرقاوين كالسماء.. سماء هذا اليوم.. لون أزرق عميق لا شائبة فيه.. لم تعودا باردتين ساخطتين بل بدتا مختلفتين عن الانطباع الذي كان فيهما يوم أمس..

قال: أعتقد أنني مدين لك باعتذار.

ـ أنا.. أبداً.

ـ أوه.. بلى. لقد شرح لي رئيسك.. يبدو أنك كنت تجهلين أمر التعليمات التي أعطيتها له.

لم تشعر دان يوماً بمثل هذا الحرج في حياتها: حـ.. سناً.. كل شيء تمت معالجته على أي حال.

عادت لتجلس.. هي بحاجة لتنظر إلى مكان آخر.. بحاجة أن تفعل شيئاً لجسد يحس فجأة بالارتباك وعدم اللياقة.. ماذا جرى لها بحق السماء؟ ولماذا لا يبتعد عنها وقد قال ما يريد؟

ـ فكرت أن نتناول الغداء معاً.

كان هذا الرد على سؤال لم تطرحه دان، والقول أنه صدمها فيه بعض التبسيط.. وجدت نفسها ترد وكأنها أساءت السمع.

ـ أستسمحك عذراً؟

تلاعبت ابتسامة على وجهه، تلامس عينيه. لكنها ذهبت بأسرع مما ظهرت.. مع أنها بقيت بما يكفي لتدرك أنه يضحك منها.

ـ الغداء.. دانيالا.

الرد كان من السيد رنغتون، وأكمل: السيد لوماكس يريد أخذك إلى الغداء.

ولا تجرؤي على الرفض! كانت التعليمات التي لم ينفوه بها واضحة في لهجة رئيسها.. واضحة إلى درجة أنها لم تتوانى عن الرد، وكان رداً رائعاً

قالته بابتسامة وبصدق:

ـ هذا لطف منك سيد لوماكس.. وسأحب أن أذهب معك! لكنني أخشى أن أكون مرتبطة بموعد للغداء اليوم!

ـ هذا ما قلته بالأمس.

ما كان للأمر أن يكون صعباً هكذا لولا وجود مستمعين.. لكن روث لم تكن تتظاهر أنها تعمل. والسيد رنغتون.. حسناً..!

ـ لقد قلت هذا.. وألغي الموعد كما تذكر.. وأنا.. رتبت موعداً آخر اليوم بدلاً من الأمس.

قال راند لوماكس وكأنما تجاهلت بقولها ما هو واضح: إذن الغي موعدك اليوم.

يا له من جريء!

تحولت ابتسامتها إلى جليد: أخشى أن لا أستطيع هذا.

أوه.. اللعنة على الرجل! إنه يتلاعب بها، بينما رئيسها لا يعي هذا. كانت تعبة تماماً!

وجاء الرد الناعم: لا وجود لشيء اسمه لا أستطيع.. على الأقل ليس في قاموسي.

بدأت دقات قلب دان تتسارع، وتحول حرجها إلى سخط وانزعاج حاد.

ـ أخشى أن يكون الوقت قد تأخر.. هوارد سيكون الآن في طريقه إلى هنا. إنها الواحدة وعشر دقائق.

ـ هوارد؟

اسم بسيط.. لكن كيف تمكن من نطقه بطريقة تبدو وكأنه يتحدث عن شيء زحف من تحت حجر؟

ـ إنه.. من تواعدت معه.. لا بد أنه ترك مكتبه الآن ليأتي إلى هنا.

ـ مسكين هوارد.

هذه المرة، لفظ الاسم بأدب ولو قليلاً. بحيث لم يلحظ أحد

السخرية، ما عدا دان.. وقبل أن ترد، أدار راند لوماكس لها ظهره وخاطب سكرتيرتها: أوصلي لهوارد اعتذار دان، أنا واثق أنه سيفهم روث.

هزت روث رأسها طاعة، فاستدار إلى دان مجدداً: دانيالا.. إذا كنت مستعدة إذن..

أوه.. إنه يبسط سلطته بشكل جميل. إنها مضطرة للاعتراف له بهذا! أحنى رأسه احتراماً وعرض عليها ذراعه.. فعل هذا برشاقة بطيئة طبيعية وتركها دون وسيلة مقاومة..

وقفت، ومع أنهما غريبان، أخذت ذراعه ونظرت إلى سكرتيرتها الضاحكة وإلى رئيسها المبتسم الذي قال: عودي بسرعة دانيالا.. وتمتعي بالغداء.

ردت بلطف: سأفعل.

عادت عيناها إلى الرجل الذي يفوقها طولاً الواقف إلى جانبها، وهي تطلق سهاماً لوزية ذهبية من الكراهية له.

انتظر إلى أن مرا عبر غرف المعرض ووصلا الممر الخارجي، قبل أن يبدأ الضحك.. وما إن بدأ يضحك، حتى بدا غير قادر على التوقف.

لم تقل دان كلمة.. كان احتجاجها الوحيد محاولة سحب يدها من ذراعه.. لكنها لم تنجح.. وأطبقت ذراعه على يدها بحزم، لكن هذا زاد من مرحه.

أسهل ما تفعل أن تتركه يضحك.. يا له من بغيض متعجرف أناني! أيظن نفسه بارعاً؟ لقد وضعها في موقف حرج. يعرف أن لديه القدرة على الحصول على ما يريد، وها هو الآن يظن نفسه رائعاً!

حسناً.. هناك شيء واحد مؤكد.. لن يسألها أبداً، أبداً، أن تخرج معه مرة أخرى. ستعامل هذا الرجل بالازدراء الذي يستحقه! بوضوح وجلاء.. أوه.. أجل.. سوف تكون واضحة جداً في هذا.

واضحة، لكن فاتنة، ساحرة إلى أقصى الحدود.
على أي حال.. لا تريد أن تخسر عملها.

* * *

٢ ـ معركة خاسرة

تواجها وجهاً لوجه مع هوارد على سلم المعرض، فتوقف في مكانه ينظر إلى دان وراند لوماكس بمزيج من الحيرة والدهشة.. ونظرته تستوعب القبضة المتملكة لهذا الرجل على يدها.. أرادت يائسة أن تنتزع ذراعها منه.. لكنها لم تستطع. ولم يكن السبب ببساطة جو التملك الذي يزعجها بل التلامس بحد ذاته.. كان الأمر وكأنها مخدرة في المكان الذي تلامس فيه يده يدها.

قالت: هوارد.. أنا آسفة لهذا. تركت لك رسالة مع روث.. و.. هذا السيد لوماكس، راند لوماكس.. سيد لوماكس هذا صديقي، هوارد غالايز.

استجاب هوارد أولاً: كيف حالك؟

ـ جيد جداً.. شكراً.

ترك راند يدها ليهبط بذراعه إلى خصرها حيث استقرت على جانبها الآخر وهو ينزلها السلم.. نظر من فوق كتفه إلى هوارد المذهول:

ـ آسف جداً يا عزيزي! العمل أولاً.. أنت تفهم.

لوّح للتاكسي الذي توقف. وقبل أن تستطيع دان التقاط أنفاسها، كانت في داخله.

تحركت مبتعدة عنه قدر استطاعتها، تنظر إلى خارج النافذة.. ولم تجرؤ أن تتكلم، فهي غاضبة بحيث لا تثق بنفسها.. ولم يقربها راند أو حاول الإمساك بيدها إلى أن خرجا من التاكسي.. بعد دقيقتين،

استقبلهما رئيس السقاة في مطعم فرنسي صغير، وأوصلهما إلى طاولة في الزاوية: الطاولة التي طلبتها سيد لوماكس.

نظرت دان حولها.. كان المطعم الصغير مكتظاً، لكن صوت الحديث فيه مكتوم، والجو هادىء مريح. كانا في غرفة صغيرة، تتصل عبر مداخل بغرف صغيرة أخرى.. الجدران مدهونة بالأبيض. كانت ظلال النور على الجدران كهرمانية صفراء، مثل لون الشموع على الطاولات.. وبدا المكان فخماً.

وضعت دان كفيها فوق القماش الأبيض للطاولة، ونظرت إلى مضيفها تبتسم له أجمل ابتسامة لديها.

ـ حسناً.. كل هذا لطيف سيد لوماكس.. لكن بماذا يساعد هذا؟

كانت تتوقع أن يربط دعوته هذه باعتذاره.. لكنه لم يفعل.

ـ يا للأسف دانيالا.. أنت أكثر جاذبية حين تبتسمين ولا بد أن هذا قيل لك مئات المرات حتى...

وصل الساقي، ووقف إلى جانب طاولتهما بوجه وقور.. لكن راند لم يعترف بوجوده.

ـ.. أن عينيك لا يمكن وصفهما سوى أنهما خرافيتين. أنت امرأة جذابة إلى حد التطرف.. وهذا كل التبرير الذي أحتاجه لدعوتك إلى الغداء.. ألا توافقين؟

التفتت إلى الساقي: أنا.. سآخذ عصير الأناناس مع الصودا.. أرجوك.

ـ فليكن طلبان.. ولا تضع الثلج في كأسي.

راقبها مبتسماً بعد أن أصبحا لوحدهما: إذن.. أنت ستعاملينني بالصمت.. أولاً في التاكسي، والآن هنا.. أهكذا أنال المكافأة بعد كل ما مررت به من متاعب؟

ـ متاعب؟

عم يتكلم؟ وماذا حصل لخطتها؟ لقد صرف نظرها برده على أول

سؤال لها.. وها هي لا تفكر بوضوح: لقد ألغيت موعدين لأجل هذا.. وجئت إلى مكتبك حوالي الثانية عشرة، لأكون متأكداً من اللحاق بك في الموعد المطلوب.

ـ أنا.. لا أستطيع تصور السبب.

لم يكن فمه يبتسم، لكن عينيه كانتا تضحكان: ألا تستطيعين؟ لماذا يجب قول كل شيء لك مرتين دانيالا؟ لماذا تتصرفين وكأن لك ذكاء حمار، في وقت أعرف تماماً أنك امرأة متفوقة الذكاء؟ لقد أمضيت ثلاث سنوات تدرسين للحصول على درجة جامعية في الفنون.. أوه.. أجل. لقد تبادلت الحديث مع تشارلز عنك، لذا لا يمكن أن تكوني بطيئة الفهم كما تحاولين أن تظهري نفسك.

مرة أخرى لم تستطع الإجابة.. أولاً، لوصول ساق آخر مع لائحة الطعام. ثانياً، كانت تشعر بالتوتر الشديد داخلها ولا تستطيع أن تسترخي بما يكفي لتتكلم.. ولأن النظر إليه رائع جداً، وجدت نفسها تحاول تجنبه.. ولأنه يعبث بها، فقد أصبحت مرتابة.. لقد خططت كي تعامله بازدراء تخفيه تحت غلالة من فتنتها. لكنها لم تفعل ولم تجد على ما يبدو الحنكة الكافية لهذا..

أخيراً بدأت تقول: سيد لوماكس..

ـ راند.

ـ سيد لوماكس.. أنا أعرف أنك شخصية مهمة، وأعرف كرمك نحو معهد الفنون.. وهذا بدوره يعني أن معرضنا..

بدا عليه الاستياء: انسي كل هذا.. لماذا لا تسترخين وتتصرفين على طبيعتك؟

ـ لكن هذه هي المسألة! كيف أكون على طبيعتي في مثل هذا الظرف؟

ـ ليس هنا ظرف سوى أنك وأنا بدأنا بداية سيئة، وأحاول التعويض عن هذا، دانيالا.. أنا منجذب إليك وأريد رؤيتك أكثر وأن أعرفك أكثر. كم مرة يجب أن أقول هذا لك؟

كأن توترها لم يكن كافياً، فقد تضاعف فجأة.. ولجأت لبضع دقائق إلى حديث عادي، تقول أشياء عن المطعم وديكوره.. لن تستطيع التعامل مع سحره، ولا تستطيع وصفه برجل التقته بالأمس فقط، لا تستطيع التعامل مع.. صدقه!

ازداد الأمر سوءاً عندما أدركت كيف تبدو وهي تثرثر.. ولرعبها وجدت نفسها تزداد احراراً، وتزيد الأمور تعقيداً بمحاولة محمومة لتغطية ارتباكها، بقول أشياء عن الطعام الذي وصل لتوه: هذا.. هذا يبدو جيداً.. بون آبيتيت.. سيد لوماكس.

سيد لوماكس.. هكذا سيكون الأمر إذن.. راند يحب التحدي، بل لا يحب شيئاً أكثر في الواقع. ابتسم لنفسه ولها، وأحنى رأسه قليلاً مقرّراً تبني طريقة أخرى.

في الوقت الذي كانا فيه في منتصف الطبق الثاني من وجبة الطعام، كانا في نقاش عميق عن الفنان فان كوخ وجنونه.. وما إن أنهيا طبقيهما من الفريز مع الكريما، حتى كانا قد تحدثا عن رينوار وتصرفه مع النساء.. مع وصول القهوة، نظر راند على مضض إلى ساعته.

ـ يا إلهي.. يجب أن أذهب.

أجفلت دان: كم الساعة الآن؟

ـ الثالثة وعشر دقائق.

ـ يا للسماء.. سأنال إنذاراً بالطرد!

ـ مستحيل! لا.. ابقي حيث أنت، لا شيء ملح يدعونا أن لا ننهي قهوتنا.. لا أستطيع تصور وجبة ممتازة لا تتبعها قهوة قوية جيدة.

تكلم بجدية مطلقة دفعت دان إلى الضحك.

ـ لا.. فسيكون هذا رهيباً!

ضحك بدوره: أنت تجامليني.

ـ أنت على حق!

مال إلى الخلف في مقعده: أتعرفين.. هناك شيء آخر أكرهه كثيراً.

رفعت حاجبيها ببطء وعيناها تلمعان، تابع: الاضطرار إلى إنهاء حديث شيق، خاصة مع امرأة جذابة.. فلنته حديثنا على العشاء الليلة.. هل نوافق على الساعة الثامنة؟

عادت إلى واقعها بسرعة. لن تنجح محاولتها رفض اقتراحه. لقد حدث شيء ما خلال ساعتين من صحبته.. لقد توقفت عن كراهيته.. ما كانت قد لاحظته من عجرفة، تظنه الآن ثقة بالنفس.. ومن يستطيع كراهية هذا في إنسان شريطة أن لا يبالغ به؟ لكن إذا كان يظن أنه قادر على العبث مع نساء المدينة بسهولة، فلن تكون هي من بينهن.. على أي حال، لديها العذر المهذب لترفض.

ـ لن أستطيع فأنا مرتبطة.

ـ هوارد؟

ـ لا.. ليس بالضبط!

ـ أتشعرين أنه يحبك؟

ـ لا أشعر بشيء كهذا!

ـ لكنك تعرفين أنه يريدك؟

اتسعت عينا دان.. هناك أوقات يدخل فيها هذا الرجل إلى صلب الموضوع: لكن هذا ليس الشيء عينه.

ـ أنا لا أعني الإيحاء بهذا.. لكن بالنسبة لحالة هوارد، إنها الأمرين معاً.

ـ هذا ليس من شأنك.. راند!

لاحظ استخدامها لاسمه الأول، لأول مرة. لكنها لم تلاحظ هذا: هذا صحيح.. والآن، أين كنا؟ آه أجل.. حول الغد!

ـ ولن أستطيع تناول العشاء معك غداً، أيضاً. ولا يوم الخميس.

ـ لا تستطيعين أم لا تريدين؟

ـ بصراحة، الاثنان معاً.. لا أريد.

جذبت البسمة التي ابتسمها، عينيها إلى فمه.

ـ إذا كان هناك شيء أجده غير مثير للاهتمام، فهو امرأة لا تستطيع قول لا لرجل. أين المرح في هذا؟

وكيف يمكنها أن لا تضحك لكلامه؟ حاولت.. لكن الضحك خرج كفقاعات: سأكون صريحة معك سيد لوماكس..

ـ ناديتني راند منذ لحظة.

قطبت بشكل مبالغ: حقاً؟ هذا إهمال مني! كما كنت أقول.. أنا لست مهتمة لا بك ولا بأي رجل آخر.. لا.. لا تنظر إلي هكذا.. أنا إنسانة طبيعية جداً. لكنني.. لا أحتاج إلى هذا في الوقت الحاضر.

ـ قد يكون موقفاً تحسدين عليه، دانيالا.. بالنسبة لي، يجب أن أقول إنني أحتاج إلى الكثير منه فأنا مثل «رينوار» أعشق النساء. لكنني على عكسه، لا أجعلهن مثالي الأعلى.

حاولت وضع حد لهذا الحديث: مع أنك مستعجل.. فأنت تطيل البقاء.

ـ هذا لأنني مفتون بك، دانيالا.. والآن، ماذا ستفعلين الليلة، وغداً، ويوم الخميس؟

ـ إنني أتمرن على مسرحية. أنا عضوة في...

ـ آه.. فرقة التمثيل الدرامي للهواة.. سمعتك تذكرين هذا لسكرتيرتي المؤقتة.. لا أذكر اسمها.

ـ سيلفيا.. وكم سمعت من ذلك الحديث؟

ـ الطرف الأخير فقط.. عن هوارد والتمثيل. لماذا؟ هل فاتني سماع شيء آخر؟

ـ وهل كنت تسترق السمع متعمداً؟

ـ يا فتاتي العزيزة.. استراق السمع تحديداً يكون متعمداً.. وأنا أقوم بهذا متى سنحت لي الفرصة. إذن.. أية مسرحية أنت فيها؟

ـ اسمها «الندم في منتصف الليل».

ـ لم أسمع بها من قبل، يبدو أنها قوية.

ـ قوية وغير قوية.. إنها في الواقع معقدة، فيها أوقات مسلية، وفيها بعض الأخلاقيات.

ـ أحب المسرحيات التي فيها أخلاقيات.. ومتى ستظهر على المسرح؟

ضحكت مرة أخرى: ستظهر على مسرح قاعة الكنيسة بعد أسبوعين.. ولهذا السبب، ازداد عدد ليالي التمرين.

ـ في أية ليالي يجري التمرين؟

قالت إنهم عادة يتمرنون ليالي الثلاثاء والأربعاء والخميس، لكنهم الآن يعملون يوم الاثنين كذلك. ولم يذكر أي منهما ليلة الجمعة.. فيوم الجمعة يغادر المدينة.. ألا يفعل هذا؟

قبلت أن يوصلها بالتاكسي إلى عملها.. وشكرته بحرارة للغداء، وكانت تعني ما تقول. فهي لم تدرك حتى هذه اللحظات كم تمتعت حقاً.. والحقيقة أنها أحست بكراهية أن تتركه..

قال: أتدركين أنك تمكنت من قضاء كل الوقت دون أن تخبريني شيئاً عنك؟

ـ لكنك عرفت الكثير عني.

ضحك: أعترف لك بهذا.. لكن قولي لي شيئاً واقعياً، أرضي فضولي حول ما أسمعه في صوتك.. من أين أنت؟

ـ من لايك ديستركت، منطقة البحيرات.

ـ يا لك من محظوظة.. وأنا محظوظ كذلك.. في الواقع، أنا ذاهب إلى هناك لعطلة الأسبوع.

عاد اسم ميرلن إلى ذهنها مرة أخرى.. وقالت دون تفكير: في الواقع.. أنا كذلك.

بدا عليه الاهتمام.

ـ ومتى ستسافرين؟

ـ يوم الجمعة.. سآخذ عطلة يوم، يجب أن أكون حاضرة للزفاف صباح السبت.. عرس صديقة دراسة قديمة...

- ومتى ستعودين؟

- يوم الأحد بالطبع.. يجب أن أكون في المكتب صباح الاثنين، هذا عدا ذكر التمارين..

كان لا يزال يبتسم لها، لديه موعد يجب أن يصل إليه، وهي قد تأخرت بشكل سخيف عن عملها.

- وأنا كذلك عائد يوم الأحد. لكن للأسف، رحلتي رحلة عمل.. وسأقيم مع شخص أستطيع أن أسميه صديقاً.. إنه جامع لوحات، زبون قديم يعيش خارج «كندال».. وهل ستقيمين مع أبويك؟

هزت رأسها إيجاباً.

- وأين يقيمان في لايك ديستركت؟

وجدت دان نفسها لا ترغب في الرد، لكنها قالت بكلالة: كيندال.

قد يعرض عليها أن يوصلها معه.. وهذا آخر ما تريده.. لا.. لا.. لن يفعل هذا، وهو لن يسافر لوحده.

ولم يفعل.

* * *

لم تصل الرسالة في اليوم التالي، بل في اليوم الذي يليه، وعبر السيد رنغتون بالتحديد. وصلت كأمر واقع لا كرسالة.. وكان هذا مثالاً آخر على جرأة راند لوماكس.. وكرهت دان هذا.. لكنها حولت قسمات وجهها إلى ابتسامة، وكانت ترغي وتزبد في داخلها بينما كان رئيسها يسرد ما يظنه أخباراً طيبة لها.

استدعاها إلى مكتبه. الساعة التاسعة وخمس دقائق صباح الخميس... وقال لها: قال إنه سيأخذك من شقتك في التاسعة صباحاً. لطف منه، أليس كذلك؟ مع أنني أعتقد أن هذا أمر طبيعي، فكلاكما ذاهبان إلى «كيندال».

وافقت دان كارهة: لطف كبير منه.

ووقاحة كذلك! كيف يجرؤ على إيصال هذا الاقتراح عبر رئيسها؟ كيف يجرؤ على أن لا يكلمها بالأمر مباشرة؟ والأسوأ من هذا.. كيف يجرؤ على التفكير بما أن ميرلن لن تذهب معه، فإنه يستطيع أن يرافقها بدلاً منها؟

- قال إن لا جدوى من رحلة سيارتين.. وبالطبع قلت له إنك لا تملكين سيارة..

- لكن لدي خطط أخرى للرحلة.

- حقاً..؟ أوه.. يا إلهي.. هذا سوء حظ!

- لماذا؟

- لأنني لست واثقاً أن بالإمكان الاتصال به الآن.. قال إنه سيغادر المدينة اليوم لتوه.. أوه.. هذا سوء حظ! لو أنك ذكرت لي.. أعتقد أن شخصاً آخر سيوصلك؟

ماذا يمكن أن تقول؟ أجل.. سكة الحديد الإنكليزية؟ حتى أنها لم تشتر التذاكر.. اللعنة على الرجل! ابتسمت مجدداً بجهد.

- لا تقلق.. سأتدبر الأمر.. إذا لم أستطع أن أتصل به، سأغير خططي وأكون جاهزة عند وصوله في الوقت المحدد غداً.

بدا الارتياح الشديد على رئيسها، ولم تقل له إنها ستحاول الاتصال براند لوماكس مهما كلفها الأمر. إذا لم يكن الآن في مكتبه، ستجد مكانه عبر سيلفيا ولا مشكلة في هذا.

لكن كان هناك مشكلة.. سيلفيا لم تكن تعرف مكان وجوده.

- لكن.. لكن قلت إنه دائماً يخبرك عن تحركاته.

- بالتأكيد.. لكن متى شاء هذا.. ما المشكلة؟ لا بد أنها كبيرة. أنت متوترة جداً!

هل هكذا تبدو؟

- لا.. لا.. الأمر فقط.. لا شيء.

وودعت سيلفيا.. فلا سبيل لشرح الأمر لها!

عند عودتها إلى المنزل من عملها وقبل إسراعها إلى التمرين، تناولت سندويشاً بسرعة وهي منكبة على مراجعة دليل الهاتف، ولم تجد فيه سوى أرقام هاتف معارض لوماكس.. اتصلت عبثاً بخمسة أرقام تحمل اسم ر. لوماكس، ولم تجد بينها ما يخص راند.

في العاشرة والنصف من ذلك المساء، بعد عودتها مباشرة من قاعة مسرح الكنيسة.. حاولت سؤال الاستعلامات وقيل لها: أجل.. هناك رقم لراند لوماكس. لكنني لن أستطيع إعطاءك الرقم.

ـ لكن لماذا؟

ـ إنه رقم سري.

جلست متربعة على الأرض، تنظر إلى الهاتف تشعر بنفسها عالقة في فخ.. إنها عالقة.. ومن الأفضل لها أن تبدأ بتوضيب حقيبتها.

كان يوم الجمعة يوماً رائعاً آخر، وأملت أن يكون يوم السبت يمائله روعة لأجل تشيلسي وعرسها في الصباح.. وخرجت من الحمام بعد السابعة بقليل وبدأت تجفف شعرها النحاسي الأسمر الكثيف.. عند التاسعة إلا ربعاً، كانت جاهزة، منتظرة. تتجول في غرفة الجلوس لأنها لا تستطيع الجلوس هادئة.

قالت لنفسها إنها تتصرف بطريقة غير منطقية وحاولت تحليل السبب.. فكرت ثانية بالسيدة الصغيرة التي في كوتسويلد كما أشارت إليها سيلفيا، لكنها هي، دان، ليس من المفروض أن تعرف هذا.. لذا لا يجب أن تترك ما تعرفه يؤثر في تصرفها نحو راند، لكن كيف ستتمكن أن تمنع هذا؟ ماذا يريد الرجل منها؟

واجهي الأمر.. إنه في ذهنك منذ تناولك الغداء معه.. واجهي الأمر.. أنت لا تريدين قضاء ساعات معه في السيارة لوحدكما.. إنها رحلة طويلة من لندن إلى كيندال، خمس أو ست ساعات في السيارة.

حين رن جرس الباب، حاولت أن تهدأ، أن تتصرف بتمدن..

ـ صباح الخير سيد لوماكس.

وهي تتكلم، تحركت عيناها على كل قسمات وجهه، واتجهتا إلى الأسفل لتلاحظا القميص الأزرق الشاحب المفتوح عند العنق، وأكمامه المرفوعة حتى المرفقين، البنطلون الأبيض، الجوارب البيضاء، والحذاء الجلدي الأبيض كذلك.

رفع حاجبيه وهو ينظر إلى جسمها تحت الفستان القطني الزهري الذي ترتديه.

ـ هذا فستان جديد.. أنت تعملين في المجال الخاطئ.. يجب أن تعملي في عرض الأزياء.. تبدين مذهلة.. فستان بسيط، لكن ماذا يفعل الجسد له..

قاطعته بحدة: أنا جاهزة إذا كنت أنت جاهزاً.

ـ ألن تدعيني للدخول؟

كان عليها أن تأتي بحقيبتها.. وتراجعت إلى الوراء تشير إليه نحو غرفة الجلوس، حيث وقف ينظر حوله، يهز رأسه إعجاباً.

ـ رائع جداً دانيالا.. بساطة مع ذوق.. يعجبني اختيارك للديكور والإحساس بالألوان..

توقف عن الكلام، وفاجأها بالاستدارة ليمسك ذقنها في راحة يده: ما الأمر؟

ـ أنا.. لا شيء.

ما عدا الدفء المفاجيء حيث لامست يده بشرتها.. مرة أخرى تراجعت: حقيبتي هناك.

ضحك عالياً: وهل هذه حقيبة لعطلة أسبوع؟ أستطيع القول إنها تكفي شهراً!

ضحكت مرة أخرى.. كيف يفعل هذا؟

ـ عندي عرس أحضره.. ألا تذكر؟ لقد وضعت في الحقيبة الأساسيات...

ـ هذا ما يقلنه جميعاً!

تلاشت ضحكتها.. لا شك أنه يعرف النساء وعاداتهن جيداً.

ـ هاي.. أنا أمزح.. لا فارق عندي، هناك متسع كبير في الصندوق.

كان الصندوق صندوق جاغوار بلون كحلي.. وساعدها على الدخول إلى السيارة، وذكرها أن تربط حزام الأمان.. وهي تستقر في المقعد الجلدي الوثير، حاولت مجدداً أن تكبت توترها غير المنطقي.. لكنها فشلت. حين جلس راند إلى جانبها وجدت نفسها تحس بقربه.

أدركت ببؤس أنها منجذبة بشكل متطرف إليه.. وهو كذلك منجذب إليها..

أحست أنها في خطر.. فهي لم تختبر مثل هذه المشاعر من قبل.. مساحة السيارة المغلقة عليهما حميمة جداً.. ويجب أن تُبعد عينيها عنه وهما منطلقان..

سارا بصمت لفترة، ودان تنظر بتصميم عنيد عبر النافذة إلى المناظر التي كانت غير مثيرة للاهتمام.

كسر راند الصمت قائلاً: والآن.. أين كنا؟ أوه.. أجل.. سألتك ما بك، لكنك لم تخبريني شيئاً.

ردت بلطف: لكنني قلت لك لا شيء.

لم يرد.. بل ضغط الإشارة يساراً، يناور في طريقه وأوقف السيارة. وبطريقة تعامل مدير مدرسة مع تلميذة مزعجة، قال: والآن.. دانيالا.. أمامنا رحلة طويلة ولا أحب الذبذبات التي تصدر عنك. ليس كلها على أي حال.. لماذا لا تتفوهين بالاحتجاجات التي تتوقين لقولها وتجلين الأجواء؟

ـ أنت قارىء أفكار إضافة إلى جرأتك الوقحة، بل أوقح شخص عرفته.. لماذا لم تعرض عليّ أن توصلني يوم الثلاثاء؟ يوم تحدثنا عن السفر إلى كيندال؟

رفعت حاجبيها متحدية.. فليرد على هذا!

ـ لأنك كنت سترفضين.. وكنت مضطراً لأن أرتب الأمور بهذه الطريقة لأتأكد من الحصول على متعة صحبتك اليوم.

نظرت إليه بذهول.. هل لديه رد جاهز على كل شيء؟ هل يعرفها جيداً هكذا؟

ـ لقد حاولت الاتصال بك ليلة أمس لثنيك عن عزمك.

ـ هذا ما ظننتك ستفعلين.. ورقم شقتي الخاصة لا يوجد في دليل الهاتف.

ـ هذا ما عرفته! اسمع سيد لوماكس..

ـ توقفي عن هذا دانيالا! كفى.. أنت تخوضين معركة خاسرة.

ـ ماذا.. لست أدري ما تعني.

أدار المحرك ثانية، فالناس كانت تمر بهما وتطلق الزمور.. قالت: من الأفضل أن نواصل السير.

ـ حين أكون مستعداً.. ولا داعي لأن تشعري بأنك مهددة. أنا لست على وشك مهاجمتك.. أنت لا تواجهين أي خطر. والآن.. هل تفهمين هذا؟

أحست دان أنها صغيرة جداً في تلك اللحظات. أحست بالصغر والطفولية والسخف.. يا للسماء، هل تخاف الرجل؟ أبداً! استجمعت نفسها:

ـ أنت محق سيد لوماكس.. وأنا آسفة.

ـ راند.

استسلمت: راند.

تابعا السير وهي تتساءل ما الذي عناه بقوله «معركة خاسرة».

أخيراً قال: حسناً.. أخبريني عن ذلك العرس الذي ستذهبين إليه. قلت صديقة دراسة قديمة؟

ـ هذا صحيح.. في الواقع تشيلسي شقيقة صديقة وذهبنا جميعاً إلى

مدرسة واحدة.. شقيقتها كلير قتلت وهي خلف سائق دراجة نارية، في العشرين من عمرها.

نظرا إلى بعضيهما: وهذا هو السبب الرئيسي لحضوري العرس.. أشعر أنني سأكون في مكان كلير..

صمتت قليلاً ثم أكملت: لقد تركت البلدة بعد وقت قصير من موت كلير.. كنت في الواحدة والعشرين، وعليّ إعادة التفكير بمستقبلي. فما إن أنهيت دراسة ثلاث سنوات في الكلية، حتى تزوجت صديقة مقربة لي، وكانت كلير ميتة.. و.. لم أجد أي سبب يدعوني للبقاء في كيندال، مع أنني أحبها وأحب منطقة البحيرات.. كان العمل أفضل لي في لندن.

- اضطررت إلى إعادة التفكير؟ ما الذي أغفلت ذكره؟

ابتسمت بلطف وبشيء من الإعجاب.. فهذا الرجل لا يغفل عن شيء، لا شيء أبداً!

- كنت مخطوبة في تلك الفترة.. ومنذ كنت في السابعة عشرة.

- قبل ذهابك إلى الكلية؟

- أجل.. أرى أنك فهمت الصورة.

- وعدت إلى البيت لتكتشفي أنك لم تعودي تحبينه؟

- تقريباً صحيح.. كانت المسألة معكوسة.. فقد كنت وهاري نتقابل في العطلات.. لم تكن علاقتنا ما يمكن وصفها بالمثيرة. كنت أعرفه طوال حياتي.. لكنها كانت علاقة مريحة، آمنة، وكما اعتقدت، أساس جيد لحياة زوجية. واكتشف ما معنى الحب لكن ليس معي.. لم يحبني أبداً.. كما لم أكن أحبه.

- إذن.. لم تندمي؟

- لا.. بل كنت ممتنة!

- الآن، هل أفهم أنك أصبحت ضد الزواج؟

- لا.. إذا حصل فليحصل، لكن في الوقت المناسب. وفي أثناء هذا أنا سعيدة.. وسأنتظر لأرى.

- شيء من الاستسلام للقدر.. هه؟

- لا زلت صغيرة.

انتزع نظره عن الطريق بما يكفي لترى ابتسامته: هل أسأل أم تتطوعين بالقول؟

- ثلاثة وعشرين، وسأبلغ الرابعة والعشرين في آب القادم.. وأنت؟

- ستة وثلاثين.. سبعة وثلاثين في تشرين الثاني القادم.

- لم أعن هذا في الواقع.. عنيت هل أنت سعيد؟

- ما يزيد عن الوسط قليلاً.

لاحظت دان تحفظاً في صوته وتجاهلته: هل هذا كل شيء؟ وماذا عن موقفك من الزواج؟ كيف وصلت إلى مثل هذا السن ونجوت من الزواج؟

كانت ضحكته منخفضة، هادرة: شكراً لك! أنا لن أتزوج أبداً.. لدي الكثير من الالتزامات في حياتي.

بدأت دان على الفور بالحديث عن «كيندال» وعن نفسها.. قالت إنها البنت الوحيدة لأبويها، وإن أباها يملك محل بيع انتيكات، وإن أمها تساعده.. لكن طوال الوقت الذي كانت تتكلم فيه، كانت تتساءل عن معنى كلماته الغريبة: «لن أتزوج أبداً» وإذا كان فكر بحذر ما إذا كان عليه أن يقولها أم لا..

بعد وقت غير قصير، سألته لماذا يخرج عن الطريق الرئيسية.. فأجاب:

- للغداء طبعاً! أرجو أن تكوني موافقة.

- قطعاً! لكن لا خدمات عامة هنا!

- أوه.. لا أعرف إلى أين سأذهب، إلا أنني سأجد شيئاً مناسباً.

تناولا الطعام في استراحة.. قدّم لهما مقهى ريفي مجموعة من الأطباق الساخنة والباردة.. وهما يأكلان سألت دان عن لوحة «السيدة ذات الرداء الزهري» وفعلت هذا بحذر وكانت محقة بحذرها، فقد أحست بحواجز أمامها.

ـ هل لي أن أسألك راند.. لأنني ببساطة أكاد أموت فضولاً؟ هل صحيح أن اللوحة لأمك؟

ـ هل قال تشارلز لك هذا؟

ـ أجل.

ـ وماذا قال لك غير هذا؟

ـ لا شيء.

ـ أعني.. عني.

ـ لا شيء.. صدقاً.. لا شيء أبداً.

ـ هذا صحيح.

ـ إذن كانت عائلتك تعرف الرسام.

نظر حوله وكأنه يريد التأكد أن لا أحد يسمعه.

ـ كلنا كنا نعرفه.

ارتفع حاجبيها: وأنت كذلك؟

ـ كنت في الحادية عشرة حين مات.

وهذا كان أبعد ما تجرؤ أن تتطفل فيه. ولو أنه تكلم بعفوية وابتسم كذلك، لكن الابتسامة لم تصل إلى عينيه.

هزت رأسها: حسناً.. ماذا سنأكل من الحلوى؟

جالت عيناه فيها بإعجاب: لقد اكتفيت.. اطلبي ما يحلو لك.

ـ أستطيع تحمل تناول الحلوى.

ـ أنت لا زلت صغيرة.. انتظري لتصلي إلى سن الثلاثين.. لن تجدي سهولة في الحفاظ على جسد مكتمل كهذا.

ـ مكتمل؟ لو أنك فقط تعرف كم أحب أن أزيده وزناً؟

ـ أنت مجنونة.. أنا لن أرغب في أن يتغير فيك أي شيء، دانيالا.

وقفت قبل أن يتولاها الاحمرار متجهة إلى منصة البيع وما عليها من بضائع مختلفة.

خرجا من المطعم الريفي ليجدا أن النهار ازداد حرارة.. ضغط راند

زراً داخل السيارة فانفتح السقف ليسمح للضوء والهواء بالتسلل إلى الداخل.

خلال ساعة كاملة، نامت دان.

استيقظت على ثلاث مراحل.. أولاً أحست أن هناك شيئاً ناقصاً.. سكون كامل.. هدوء كامل.. ثم أطبقت عيناها بشدة أمام الضوء المبهر.. وتحركت تتمتم بشيء غير مفهوم.. مما أثار ضحك الرجل الذي كان يراقبها.

فتحت عينيها لحظة لتسجل أن راند يراقبها بإعجاب رجل جائع أمام مأدبة شهية. كانت عيناه تجولان عليها بسرعة من شعرها المشعث إلى وجهها بكل قسماته. وهي تستيقظ، مال نحوها يضع ظله على وجهها يحجب عنه الشمس.

استيقظت تماماً، مدركة أنهما متوقفان في مكان منعزل، وأن لا سيارات تمر بهما، وأن حولهما أشجار.

سمعته يتلفظ بصوت منخفض: رائعة.. رائعة الجمال تماماً.

وصمت.. فانجذبت عيناها فوراً إلى عينيه. كان رأسها يستند إلى ظهر مقعدها. علقت في دفء النظرة الزرقاء التي أثارت حذرها وفتحت عينيها واسعتين. وأقفل دماغها احتجاجاً.. لا تفعل! أرجوك لا تفعل!

ـ لن أفعل.

كان قريباً منها.. لم تكن قد قالت ما تفكر به عالياً، وتعرف هذا.. مع ذلك فهذا يحدث مرة أخرى!

ـ لم أكن سأعانقك.. لأنني لو فعلت فلن أتوقف.

ـ راند..

ـ لقد مضى زمن طويل منذ أردت امرأة كما أريدك..

هذه المرة تلفظت اسمه باحتجاج، وغطى شفتيها بإصبعه.. فأكملت: كفى!

ودفعت يده عنها.

ـ لماذا توقفنا؟

ابتعد عنها بضع يديه بثبات على المقود: نحن خارج كيندال تماماً، وأحتاج إلى تعليماتك من هنا.

حاولت أن تكون رسمية: إلى اليمين.. آه.. تابع سيرك وسأوجهك حين نقترب من البلدة.

يا الله.. إلى ماذا رمت بنفسها؟ أرشدته مرة بعد أخرى نحو منزل أهلها وهي تنظر إليه خلسة.. كان يذهلها، لا مجال آخر للتفسير.. إنه يذهلها، ويجذبها أكثر من أي شخص عرفته في حياتها. ومضى وقت طويل قبل أن تهدأ دقات قلبها.

حين توقف خارج منزل أهلها، عاد قلبها يتسارع. كانت أنطونيا ماكولي في منتصف الطريق الداخلية تلوح مبتسمة لهما، تشير لهذا الغريب أن يوقف سيارته هناك.

استجاب راند فوراً، وتحركت أنطونيا نحو المنزل.

ـ مساء الخير سيدة ماكولي.. أليس كذلك! بشعرك الرائع هذا، لا بد أنك والدة دانيالا!

تأوهت دان في نفسها.. تعرف جيداً كيف ستستجيب أمها.. على أي حال، وكائناً من يكون الذي أوصل ابنتها إلى باب دارها، فهي لن تتركه يذهب دون فنجان شاي وشيء مما خبزته لذلك اليوم.

كان أبواها عصريين، لا زالا شابين، في أواخر الأربعين.. وكانت دان تعرف أن عليها اعتبار نفسها محظوظة.. لكن الأمر أن.. أن.. ماذا؟ كان شيء ما يوحي لها أن عطلة الأسبوع هذه لن تكون مريحة.

ولم تكن هكذا، فما إن تم التعارف، حتى وصل والدها.. كانت الساعة الرابعة والنصف، وتم المزيد من التعارف والشرح.

قال ريد ماكولي وهو يجلس في مقعد بذراعين: هذا لطف كبير منك سيد لوماكس!

ـ راند.

ـ راند.. كم أخذت منكم المسافة من وقت؟ عادة تأخذ مني ما بين الخمس والست ساعات.

ـ آه.. لقد تناولنا غداء متكاسلاً.

لمعت عينا ريد وهو ينظر إلى ابنته.

ـ أراهن على هذا.. إنها تأكل كحصان.. ولا تزيد وزناً أبداً.

ـ أعتقد أنها تأكل بتلذذ، ريد.

نظرت دان من أحدهما إلى الآخر.. غير قادرة على منع نفسها من مشاركتهما الضحك.

سأل راند: أنت تأتي إلى لندن من وقت إلى آخر إذن؟ للعمل كما أعتقد؟

ـ أجل.. أحب أن أجول في معارض الأنتيكات.

ـ طبعاً، فأنت في هذه المهنة. لقد قالت لي دانيالا هذا.. ربما تعرف الرجل الذي سأزوره؟ إنه مولع بالأنتيكات، ويعيش في منتصف الطريق بين هنا و«ويندرمير»، إنه السير سايمون..

ـ لوردلي..! قصر لوردلي؟ أعرفه جيداً.. إنه أفضل زبون عندي.. لديه ولع بالفضيات الأثرية، بين أشياء أخرى.. اللوحات إحداها.. إنه يعرف دانيالا منذ كانت فتاة صغيرة. أليس كذلك عزيزتي؟

ـ أجل.. دادي.. راند هو مالك معارض لوماكس.

ضرب الأب على جبهته.

ـ بالطبع! كان يجب أن أعرف على الفور.

اعتذرت دان وذهبت لتفرغ حقيبتها.. كانت متلهفة لتعليق البدلة البيضاء التي سترتديها في الغد.. حين عادت إلى غرفة الجلوس، كان كل شيء كما تكهنت به.. والدها وراند في نقاش عميق حول اللوحات، وأمها تقدم لهما الشاي والبسكويت والكايك.. المنزلي الصنع.

مرت ساعة. وحضر أبريق شاي آخر.. ومرت نصف ساعة أخرى.

ثم نظر راند إلى ساعته وأجفل: يا إلهي! سامحوني.. لكن يجب..

انطونيا، هل تمانعين لو استخدمت هاتفكم؟

ـ أبداً!

كبتت دان ابتسامة.. تمانع؟ يمكن لأمها أن تقدم له الهاتف هدية!

ـ هناك جهاز هاتف في المطبخ راند.. إذا أردت الكلام على حدة.

ـ لا.. لا.. سأتحدث من هنا.. لا بأس في هذا.

هكذا كان الجميع موجوداً حين اتصل بعشيقته. واضطرت دان إلى الجلوس بابتسامة مهذبة على وجهها، تستمع إلى المخابرة:

ـ ميرلن..؟ مرحباً حلوتي! شكراً لله لأنني وجدتك قبل السادسة.. أردت أن أتمنى لك الحظ الطيب هذه الليلة.. أجل، كل شيء على ما يرام معي.. أراك قريباً.. باي.

هذا كل شيء.. وهو أكثر مما يكفي لتحريك الامتعاض في نفس دان.. وسمعت نفسها تقول: ربما يجب أن تذهب راند!

وبسبب النظرة التي تلقتها من والديها والصمت المفاجيء أضافت بارتباك:

ـ أعني.. ألا ينتظرك السير لوردلي على العشاء؟

رد بنعومة: أنت محقة.

أراح والديها من حرجهما وهو يقف ويتمدد. بدا تصرفه تصرف رجل معتاد على ما حوله، صديق قديم للعائلة.

وقفت انطونيا وريد فبادرهما: كان لقاؤكما جميلاً.

بقيت دان جالسة وقلبها يخفق بشدة.. لكن هذه المرة بغضب.

قال الأب: لكننا سنراك يوم الأحد حين تأتي لتأخذ دانيالا.

ظهرت رنة تحذير في صوته: دانيالا؟ راند سيغادرنا الآن.

بكلمات أخرى: قفي ورافقيه إلى الخارج، نحن لم نربك على تصرف كهذا!

بطاعة الإحساس بالواجب، رافقت دان راند إلى الباب الأمامي، وبدا كأنه لا يعي أن هناك شيئاً خاطئاً.. لكنها كانت مخطئة.

قال لها وهي تفتح له الباب:

ـ لديك بالتأكيد هبة ساخنة ثم هبة باردة. ما بك الآن؟ هل أطلت المقام أكثر مما هو مرحب بي؟ والداك..

ابتسمت:

ـ فتنا بك.. الأمر فقط أنني متعبة قليلاً.. وأحتاج إلى الراحة.

ارتفع حاجبه سخرية:

ـ بعد ثلاث ساعات نوم في السيارة؟ إذا كنت تقولين هذا دانيالا! وداعاً الآن!

توقف وطبع قبلة على قمة أنفها، مع ازدياد انزعاجها.

لم تسأل انطونيا ماكولي ابنتها شيئاً ذلك المساء، مع شدة فضولها.. وذكر اسم راند وقت العشاء، لكن دون أسئلة.. هكذا أعطت دان أبويها صورة كاملة مختصرة عن معرفتها القصيرة به، وأنهت كلامها:

ـ ويجب أن أقول.. إنه يبدو لطيفاً جداً.

لمعت عينا أمها:

ـ جداً.. هذا عدا ذكر وسامته.

بعد العشاء ذهبت دان إلى منزل تشيلسي لتعود حوالى الحادية عشرة، وتجد والديها في الفراش.. فقد كانا من النوع الذي ينام باكراً ويستيقظ باكراً.

بعد ظهر اليوم التالي، وجدت دان نفسها تفصح عن أكثر مما كانت تريد.. فقد عادت من حفل غداء العرس حوالي الثالثة وبدأت تخبر والدتها عن الحفل ما إن دخلت من الباب: العروس كانت جميلة.. الطقس كان رائعاً.. و..

قاطعتها انطونيا دون محاولة إخفاء سرورها: لقد اتصل السير لوردلي!

جلست دان على الصوفا.. تعرف أن شيئاً خطيراً يجري: و..؟

و.. تحدث طويلاً مع انطونيا.. تحدث عن راند وعن دان.. لو كان

يعرف أنهما صديقان! والعشاء الليلة سيكون في قصر لوردلي.. مجرد حفل صغير. وقد حرم هذا انطونيا من ابنتها وهو يعرف تماماً أنها لا تراها دائماً.. أو لن تمانع؟ سيكون راند مبتهجاً لهذا.. وهو كذلك.. لطالما كان يحب الصغيرة دانيالا.. كم كانت مهذارة وهي صغيرة! سيرسل لها سائقه مع السيارة في الساعة السابعة.

أدركت دان بعد دقيقتين من الجدال أن لا جدوى من الجدال.. انطونيا مبتهجة.. فالسير لوردلي زبون جيد لوالدها.. وسيكون رائعاً أن تتعشى في قصر لوردلي.. ولو أن انطونيا أصغر سناً «صدقيني» لكنت قفزت للتمسك بفرصة العشاء مع راند لوماكس.

تضاعف الغضب داخل دان:

ـ سأذهب أمي.. لكن هناك شيء أرى من الأفضل أن تفهميه.. أنا لست مهتمة بأمر راند. صحيح أنه جذاب، وصحيح أنه فاتن.. لكن هذا كل شيء.. هل تذكرين المخابرة التي أجراها بالأمس؟ مع امرأة تدعى ميرلن؟ لمعلوماتك، إنها عشيقته. ومما عرفت، تعيش في كوتسولد ويذهب إليها تقريباً كل عطلة أسبوع.

ـ دانيالا! ما هذا التعبير؟

ـ أنا آسفة.. لكنه صحيح.

ـ ليس من عادتك أن تكوني...

ـ سوقية.. أعرف، وقلت إنني آسفة.. لكنني هكذا أنظر إلى الأمر.

ـ لكن.. لكن.. من قال لك هذا؟

وضعت دان أمها في الصورة بالنسبة لما قالته لها سيلفيا.

ـ لكنها.. قد تكونين فهمت المسألة بشكل خاطىء!

ـ ما من مجال!

بدا الارتياب على انطونيا، ثم لان وجهها وابتسمت:

ـ حبيبتي.. ما أصغرك! الحياة بيضاء أو سوداء في نظرك! أتعرفين ما

يقال عن المظاهر.. قد تكونين مخطئة.

ـ الآن.. ماذا سأرتدي بحق السماء؟

ـ وماذا في الثوب الذي ترتدينه؟

نظرت دان إلى ثوبها الأبيض الذي ارتدته لحفل الزفاف.. كانت بذلة من النوع الأنيق والفخم، مطرزة الياقة، ولم يكن فيها شائبة.. لكن..

ـ إنها مجعدة.. وسأحتاج إلى بلوزة نظيفة..

ـ ما من مشكلة، اخلعيها، سأرطبها بالماء وأكويها ولدي بلوزة رائعة لك.. والآن توقفي عن الحرد دانيالا، هذا ليس من عادتك.

كانت لا تزال غاضبة ولو في سرها، حين وصلت سيارة السير لوردلي في السابعة تماماً.

* * *

٦ ـ خطأ في التقدير

كان بالإمكان أن تتمتع دان بسهرتها لولا غضبها من راند ولولا ڤيني لوردلي.

قدم السير سايمون لوردلي الأرمل المسن، ڤيني كابنة أخيه المفضلة التي هبطت عليه دون إعلان مسبق لقضاء عطلة الأسبوع. كانت في أوائل الثلاثينات، طويلة، أنيقة، جميلة، وعرفت دان خلال الأمسية أنها طلقت مؤخراً.

بغض النظر عن غضبها، وجدت دان أن الأمسية مثيرة للاهتمام، وتمكنت من التعامل مع الجميع ببراعة مع أنها غير معتادة على مثل هذا المحيط الضخم.. كانت حفلة عشاء السير سايمون الصغيرة مؤلفة من أربعة عشر مدعواً. وأجلسها إلى يساره، وابنة أخيه إلى يمينه قبالتها، وإلى جانب راند. لماذا لم تكن هي دان إلى جانبه؟ هل طلبت ڤيني أن تجلس إلى جواره؟ ربما.. فقد سبق وأخبرت دان إنها وراند تعرفا على بعضهما خلال اليوم.. «يا له من عالم صغير.. اكتشفت أنني أعيش على مسافة عشر دقائق من منزل راند! أليس هذا غريباً؟ لقد ذكر لي عمي سايمون اسمه أكثر من مرة.. لكنني لم ألتق به من قبل. هل تعرفينه منذ وقت طويل.. دانيالا؟»

كانت تثرثر.. ولم تتوقف ثرثرتها منذ وصول دان.

لم تتبادل دان سوى حديث قصير مع راند بعد وصولها فوراً، إذ قال مبتسماً:

ـ آه.. السيدة ذات الثوب الأبيض.. تبدين جميلة دانيالا.. كيف كانت حفلة الزفاف؟

ـ رائعة.

كلمة واحدة.. هذا كل ما قالته، في وقت أرادت أن تسأله ماذا يريد منها بالضبط ولماذا رتّب لأمر هذه الدعوة. إنها لم ترد المجيء! الآن وقد حضرت، ماذا وجدت؟ ڤيني.. الجميلة، والأكثر حنكة، تحاول التلاعب معه بشكل مفضوح!

في تلك اللحظات تقدم السير سايمون ليدعوها لرؤية مجموعة لوحات قصر لوردلي.. وهي تغادر الغرفة مع مضيفها دست ڤيني ذراعها تحت ذراع راند ونظرت إليه مبتسمة.

لامس الرجل على يسارها ذراعها، كانت ابتسامته كريهة قليلاً وهو يقول متمتماً:

ـ يبدو أن ڤيني العجوز وجدت ضحيتها التالية.

بوجه جامد، نظرت دان إليه ولم تعلق..

في تلك اللحظة، تحدث إليها السير سايمون.. كان فاتناً طوال الأمسية.. مع ذلك ظلت تتساءل لماذا دعاها:

ـ دانيالا.. يبدو أن ابنة أخي تتسلط على راند.. لن تقفي متفرجة وتسمحي بهذا.. أليس كذلك؟ كان مهتماً جداً بوجودك هنا الليلة، كما كنت أنا بالطبع.. لكنكما بالكاد تكلمتما معاً.

واضح أنه كان مستغرباً.

وكان عليها أن تفتش بسرعة عن رد مناسب:

ـ لا أعرف ماذا قال لك راند سير سايمون. لكننا لا نكاد نعرف بعضنا ولا ألومه لاهتمامه بابنة أخيك.. إنها جميلة جداً.

أجفل السير سايمون لهذا.. ثم نظر إلى دان بفضول صريح، وكأن ما قالته كان آخر ما يتوقع سماعه.

لكن في الواقع، لم يكن راند يهتم كثيراً بڤيني لوردلي كما لاحظت

دان.. فبالرغم عنها، كانت تراقبه دون فضح نفسها طبعاً. مرات ومرات، أحست بعينيه عليها، ومرات التقت عيونهما لتشيح وجهها على الفور وتتجنب السؤال الذي كان يلوح فيهما..

أخذ مضيفها يحدثها عن الطعام وعن ما يحبه وما لا يحبه.. وهي تصغي، كانت تفكر: فيني.. أنت تلعبين اللعبة بطريقة خاطئة.. أنت تجعلين نفسك سهلة.. ولن يجد من المرح أن يجاريك. وجاءها ردها على نفسها: أوليس من الواضح ما يريده راند منها؟ دان تشكل له تحدياً سوف يكتشف أنه لن يستطيع مواجهته وليس لديه أمل أن يتوصل معها إلى نتيجة.. لا أمل أبداً! من المستحيل عليها أن تتصرف وكأنها لا تعرف من هي ميرلن.. مستحيل! وهي كذلك ليست من الصنف الذي يرمي بنفسه على رجل لمجرد أنه جذبها.. إنها أرفع من هذا بكثير.

وهي تفكر بكل هذا، رفعت نظرها إليه وعيناها توضحان تماماً مدى سخطها.

فيما بعد، والمحتفلون يتجمعون في غرفة الاستقبال بعد العشاء، تقدم راند إلى دان يقاطع الحديث الجاري بينها وبين زوجين.

نظر إليهما قائلاً: أرجو عفوكما.. أود أن أكلم دانيالا على انفراد.

ما إن ابتعدا عن مسمع الجميع، حتى سألها: ما بك بحق السماء؟ قال لي سايمون إنك على وشك العودة إلى المنزل.

قالت بتعقل: يكاد الليل ينتصف.. ولن أكون أول المغادرين.

ـ أنا لست أتكلم عن هذا.. لماذا طلبت من السائق أن يوصلك؟

ـ لقد جاء بي.. ألم يفعل؟

لمعت عيناه بغضب: هذا ما لم أستطع تجنبه.. في مثل هذه الظروف ليس من الملائم أن أذهب لإحضارك، ثم إنني وسايمون كنا نبحث في العمل إلى أن بدأ الضيوف بالتوافد.

ابتسمت بكل الوقار الذي استطاعته:

ـ لا أرى سبباً لكل هذه الضجة راند.. لا فارق عندي من

يوصلني.

ـ لكن لهذا فارق كبير عندي.. أريد أن أتكلم معك.. وهذا ليس بالمكان المناسب.. ودعي السير سايمون وسآتي بسيارتي إلى الباب.

ـ لا أريد الذهاب إلى المنزل..

آلم ضغط أصابعه ذراعها وأوقف كلامها فشهقت.. وقال من بين أسنانه:

ـ لقد اكتفيت من سخافاتك.. بإمكانك التوقف عن رمي السهام نحوي، كلمة احتجاج أخرى وسوف أحملك لأرميك في سيارتي! سأعيدك إلى المنزل.

نظرت إليه وعيناها تتوهجان تحدياً.. هل تفعل؟ هل تجرؤ؟ هل هو غاضب حقاً كما يظهر؟ لن يفعل ما يهدد به.. وهل يفعل؟ لا.. بالطبع لا! نظرت إليه ضاحكة:

ـ شكراً على أي حال.. لكن السائق ينتظرني الآن.

وهي تستدير عنه، أحست بذراعيه تلتفان على خصرها، وسمعت السخط في صوته:

ـ حسن جداً.. أنت طلبت هذا.

ـ لا!

لم تكد تكمل صيحتها.. يا إلهي.. إنه يعني ما يقول! بسرعة أطبقت ذراعاها على ذراعيه وتصلبت وأخفضت صوتها فوراً:

ـ حسن جداً.. حسن جداً..! سأذهب معك! اتركني.. لأجل السماء! الجميع ينظر إلينا!

بعد دقائق كانا ينطلقان معاً في سيارته.

كانت ليلة صافية يضيئها القمر، تشع فيها النجوم، ودافئة.. ضغطت دان على الزر الذي يفتح زجاج نافذتها لتتركه نصف مفتوح، دون أن تتطوع بأي حديث أبداً.

بالرغم من أنه غامض التصرفات، إلا أنها لم تندهش حين خرج عن

الطريق وأوقف السيارة في ممر ريفي مهجور.. أطفأ المحرك واستدار نحوها.

ـ حسن جداً دانيالا.. ستقولين لي الآن ماذا فعلت لتنزعجي؟ حاولت التفكير وفشلت.. فماذا هناك؟

يجب أن تتولى أمره الآن.. عادت كراهيتها له وازدادت إلى درجة أنها أصبحت قادرة أخيراً على مواجهته كما كانت تنوي يوم الثلاثاء المنصرم.

ـ راند.. كلانا ناضج بما يكفي كي نتوقف عن التلاعب.

ـ تلاعب؟ إذا كنت تتكلمين عن تصرفات قيني دعيني أؤكد لك..

ـ أنت لست بحاجة إلى أن تؤكد لي شيئاً.. أنت لا تهتم أبداً بها.. كان لسوء حظك أن تجد نفسك جالساً إلى جوارها.. لا شك عندي بذلك.. أنت لا توافق على عبثها.. فأنت تسعى ورائي.

ارتضت أن ترى حاجبيه يرتفعان، وأكملت تهز كتفيها:

ـ أنت رجل جذاب.. ويطريني إعجابك بي.. لكنك تضيع وقتك.. أنا لست مهتمة بك راند.. لقد قلت لك هذا.. يبدو أنك أنت من بحاجة لقول الشيء لك مرتين.. لو أنك..

وهي تتكلم، أخذ يبتسم أجمل ابتسامة شاهدتها في حياتها.. إنه يعرف أنها كاذبة.. يعرف جيداً أنها تكذب! وكاد هذا يصمتها، لكن ليس تماماً:

ـ لو توقفت وفكرت بالأمر، لوجدت أنني لم أمض أي وقت في صحبتك بإرادتي.. لقد استغليت سلطتك ونفوذك لتجبرني. صدقني، لقد جئت إلى العشاء لأرضي والدي.. سير سايمون ليس الشخص الذي يود والدي أن يغضبه.

ساد صمت مطبق.. بعد لحظات، وكأنما ينتزع نفسه من ذكرى مذهلة، قال بشكل مبالغ فيه:

ـ أوه..! هل انتهيت؟ هل هذه نهاية خطابك الصغير الجميل؟

اشتد فم دان.. يا الله.. إنه يثير الأعصاب.. كان لا يزال يضحك

منها! ماذا يجب أن تفعل لتقنعه؟

ـ أجل.

ـ حسناً، قولي لي ماذا يزعجك حقاً؟ هذا افتراضاً أننا لا نتلاعب. إنه على حق.. لقد حشرت نفسها في زاوية صعبة.. ألم تفعل؟

ـ إذن لنفترض أنك أخبرتني أنت من هي ميرلن؟

تغيرت تعابير وجهه: ميرلن؟

ثم تذكر مكالمته.. وقال بشيء من الاستسلام والحيرة:

ـ ميرلن هي شقيقتي.. لماذا؟

أخبره وجهها كل شيء.. وعادت ابتسامته:

ـ فهمت.. لقد افترضت أن ميرلن صديقتي.. صحيح؟

أوه.. يا الله! وكادت تتأوه عالياً.. من النادر أن تشعر بمثل هذه الحماقة.. شقيقته! لا.. إنها لم تفترض أي شيء.. لقد أُبلغت بشكل خاطىء أن... تذكرت كلمات أمها بوضوح.. «يمكن أن تكوني مخطئة».. سيلفيا! أوه سيلفي! هل عرفت الآن؟ هل عرفت من هي ميرلن؟

أمام صمتها، هز راند كتفيه:

ـ ربما كان يجب أن أذكر هذا حين اتصلت بها بالأمس.. لكنني لم أفكر بهذا. ولا عجب في تصرفك الغريب ساعة غادرت منزلكم.

ـ أيمكن أن نذهب الآن.. أرجوك.. أنا متعبة جداً.

لكنها محرجة جداً.. لو يعلم!

لكنه يعلم.

ـ بعد دقيقة، لقد أسأت الظن بي.. وسوف تسمعيني الآن.

صمت قليلاً ثم أكمل بهدوء رجل يقرر أمراً واقعاً:

ـ كان هناك نساء كثيرات في حياتي دانيالا.. ولقد أحببتهن، وقلت لك هذا. لكن لم يكن هناك أبداً اثنتان في وقت واحد.. ليس كأحبة أبداً.. تذكري هذا.

نظرت إليه وتشابكت نظرتيهما لحظات قبل أن يستدير ويدير المحرك. لم يكونا بعيدين عن منزل أهلها، مجرد دقائق. لكن في هذه الفترة القصيرة، وجدت رأسها يدور بأفكار ومشاعر متنافرة.

لقد قال لها الحقيقة.. ولم تشك في هذا أبداً. ميرلن أخته.. لماذا تحس بهذا الارتياح الشديد؟ لماذا فجأة تتمنى لو تصرفت معه بمنطق أكثر منذ البداية؟.. لماذا تتمنى الآن أن لا تنتهي هذه الأمسية؟ لماذا.. لماذا.. لماذا تشعر بمثل هذه السعادة الغبية؟

بقيت صامتة طوال بقية الرحلة، ممتنة لتعليق راند قليلاً على حفلة عشاء السير سايمون وعلى ضيوفه. إنها تعرف بالضبط ما يفعل.. إنه يحاول تخفيف التوتر بينهما. وأدركت أنه قادر أن يكون لبقاً متى أراد، وساحراً، وحساساً.

وعنيداً، شرساً، وساخراً!!

أجل.. لكنه كذلك يملك إحساساً بالمرح.. ولطالما أعجبها هذا فيه بغض النظر عن أي شيء آخر.

لم يطفيء المحرك وهو يوقف السيارة أمام الباب، لكنه خرج من السيارة قائلاً إنه سيوصلها إلى الباب. كان المنزل مظلماً ما عدا نور الردهة، والداها بالطبع نائمان فالساعة تقارب الواحدة.. ولو أنه يقف خارج شقتها، لدعته إلى فنجان قهوة.. لكنها ليست في منزلها وواضح أنه لا يتوقع منها أن تفعل.

ابتسمت له:

ـ حسناً.. تصبح على خير راند..

رد عليها برد مماثل.. مع ذلك وجدت عينيها تتحركان إلى وجهه.. وراجعت نفسها، تفتش عن المفتاح في حقيبة يدها.. حين أطبقت يده على يدها ليأخذ المفتاح منها، كادت تقفز مجفلة.. وتركت له المفتاح ليفتح لها الباب.

تمتم: لقد أوصلتك سالمة.

ثم ابتعد عنها قليلاً:

ـ أعتقد أننا تجاوزنا بدايتنا الخاطئة.. ربما يجب أن نبدأ من جديد بعد أن أوضحنا بعض الأمور، وبدءاً من الغد.. ما رأيك؟

هزت رأسها، تتمنى أن تكون قسمات وجهها ودية ولا شيء غيره: موافقة.

بدا مكتفياً:

ـ سآخذك عند العاشرة.. لا بأس في هذا؟

قالت بخبث: منذ متى تسأل؟ أنت تملي وأنا أطيع.

ـ هذا ما يجب أن يكون.. تصبحين على خير دانيالا.

كان قد وصل إلى سيارته، وردت: تصبح على خير.

لماذا تشعر بهذه الخفة؟ لقد تمنى لها ليلة سعيدة.. وقبلها على أنفها! غداً يجب أن تخبر أمها بأمر ميرلن، وأن تعطيها فرصة الاكتفاء بقولها: ألم أقل لك هذا!

كانت رحلة العودة إلى لندن يوم الأحد مرحة. تكلما معاً باستمرار، توقفا لشرب القهوة، ثم مرة أخرى لغداء متكاسل، وكلام... كلام أفضى بهما لفهم وجهات نظرهما، ما يحبان وما لا يحبان.. ووجدا بعضيهما مثيرين للاهتمام، مسليين.. وكان مسار الرحلة يتسارع بسرعة تبعث السخط.

وصلا شقة دان حوالى السابعة مساء. ولم تتردد في عرض فنجان قهوة عليه، ولم يتردد في قبوله.. بعد ساعة، كان يحضر البيض المقلي في مطبخها الصغير المجهز جيداً.

جلست تراقبه، ووجهها بين يديها ومرفقيها على ركبتيها.

ـ هاي.. أنا مندهشة!

قال متفاخراً: عزيزتي دانيالا.. أنا لست فقط ألطف مما تظنين.. بل لدي مواهب كذلك في المطبخ على الأقل! وفي صنع البيض المقلي على أي حال!

ضحكت:

ـ وهل تعلمت صنع البيض المقلي في «تشارتر هاوس»؟

تشارتر هاوس حيث تلقى تعليمه، وبعد ذلك في كامبردج. أخبرها القليل عن طفولته وعن والديه.. والده هو من حثه على الاهتمام بالفن، وكان جامعاً للتحف الفنية كما كان والده من قبله.. لقد علم ابنه كل ما يعرف.. وخلال سنواته الجامعية، قرر راند أن يجعل من الفن حياته ومستقبله المهني.

ـ لكن لم يكن لوالدك يد في أعمالك؟

ـ كان والدي محامياً في المحاكم العليا.. ومات والداي وأنا في جامعة كامبردج. وكان له يد في افتتاح أول صالة عرض لي، وساهم ماله بتأسيسها. عائلتي ثرية.. والدي لم يكن يكسب الكثير فقط.. بل ورث الكثير.. و آلت الثروة إلينا، أنا وميرلن.

ـ وأنت كسبت المزيد.. سبع صالات عرض.. لقد أنجزت الكثير في وقت قصير.. راند!

ضحك لهذا:

ـ وقت قصير؟ تعرفين كم عمري.. وأنا أعمل منذ سنوات. ثم أنت التي أشرت إلى أنني متقدم في السن.. ألم تفعلي؟

راقبته يصب البيض المخفوق في المقلاة وسألت: هل ميرلن متزوجة؟

ـ لا.

تمنت لو ترى وجهه.. لكن ظهره كان لها.. كان هناك.. شيء لم يكن مناسباً في طريقة رده.

ـ وأين تعيش؟

ـ في كوتسولد..

ـ هل هي..

استدار لينظر إليها ويقاطعها:

ـ هاي! لا تجلسي هنا هكذا.. أيتها الثرثارة الكسولة.. حضري

المائدة.. البيض سيكون جاهزاً في دقيقة.

ـ حاضر سيدي.. حاضر سيدي. بالطبع لو أنك طاه ماهر حقاً، لكنت فعلت كل شيء بنفسك. ماذا ستفعل لو أقمت حفلة عشاء؟

ـ لا تطرحي أسئلة سخيفة دانيالا.. سأستخدم شركة خدمات خاصة! وما غير هذا؟

كانا يستمعان إلى الموسيقى بناء على طلبه حين قال فجأة: يجب أن أذهب.

رفعت رأسها إليه بعد أن وقف لتجد عينيه مسمرتين عليها.

ـ أوه! أنا..

ـ ليس هناك.. لا.. لا شيء خاطىء.. ولا تقفي.. أستطيع الخروج بنفسي.

لم تكن تشعر بالحيرة فقط بل بأنها غير واثقة من نفسها كذلك.. بقيت جالسة على الأرض ممددة الساقين، وظهرها إلى الأريكة المواجهة للمقعد الذي كان يحتله.. لماذا هذا الخروج المفاجيء؟ هل اكتفى من رفقتها ليوم واحد؟ كانا معاً طوال اليوم وطوال الأمسية.. فهل بدأت تضجره.. ووجدت نفسها تسأله: ضجرت هه؟ بالموسيقى أو دونها، يكفيك هذا!

بدأت الابتسامة تنتشر ببطء على وجهه:

ـ أنت لا تصدقين هذا أبداً.. كان يوماً رائعاً دانيالا.. شكراً لك، وعمت مساء.

وقفت عند النافذة تصغي إلى صوت المحرك في الجاغوار يدور في الفناء الأسفل.. وأحست بإغواء كي تفتح الستائر لتنظر إليه.. لكنها لم تفعل بل أغمضت عينيها وابتعدت عن النافذة لتقف وظهرها إلى الجدار.. بعد دقيقة أطفأت جهاز التسجيل وأصغت إلى الصمت غير الطبيعي في الغرفة.. إنها لم تستمع إلى هذا من قبل.. وتمنت لو أنه لم يذهب.

فكرت مجفلة.. يا إله السماوات! هل بدأت أشتاق إليه؟

من الفناء في الأسفل، رفع راند رأسه لينظر إلى نافذة شقة دان وابتسامة رضى على شفتيه.. يفكر في نفسه: سنرى يا حلوتي!

أوه.. لكن لم يكن سهلاً عليه أن يتركها، لم يكن سهلاً أبداً! واختفت الابتسامة مبقياً عينيه على النافذة، يتساءل عنها. وهو يفعل هذا، جمعت تقطيبة حاجبيه معاً.. إنها مذهلة.. فاتنة جداً.. وهذا غير طبيعي.. هناك شيء خاطىء في مكان ما.. ما هو؟ ما الخطأ؟ لم يبتعد عنها بعد أكثر من خمس دقائق، وها هو يخطط لما سيقوله لها غداً..

دخلت دان غرفة نومها بحركات بطيئة آلية. فتحت حقيبتها وأفرغت محتوياتها تضع جانباً ما يلزمه غسل وكوي.. لقد قال لها شكراً لك وتصبحين على خير.. حتى أنه لم يرغب في معانقتها، ولا حاول. ولم يقل كلمة عن اتصاله بها.. ولا كلمة عن.. عن أي شيء له أهمية.

* * *

جاءت المخابرة في التاسعة من الصباح التالي. كانت دان في المكتب قبل دقيقة بالضبط ووصلت سكرتيرتها قبلها.

التقطت الهاتف تكشر في وجه روث:

ـ شخص مستيقظ باكراً وبنشاط.

ـ ماذا عن الاستيقاظ الباكر والنشاط؟

ـ راند! كنت أقول إن شخصاً ما استيقظ باكراً ونشيطاً.

ـ غير صحيح.. فأنا في مكتبي منذ أكثر من ساعة. كنت أتفحص مذكرتي.. أعتقد أن لا جدوى من الطلب منك العشاء معي بعد التمرين؟

ـ لا جدوى إطلاقاً.

كانت قد أمضت وقتاً طويلاً تتساءل وتقلق ليلة أمس، مقتنعة أنها لن تسمع منه شيئاً.

ـ يجب أن أكون عملية راند. التمارين مرهقة خاصة وأننا نقترب من

موعد العرض.. وأمامي أشياء أفعلها حين أصل البيت.. ثم يجب أن أستيقظ من أجل العمل..

ـ لا بأس في هذا.. تعرفين أنني لست من النوع الملحاح.

ابتسمت دان، تعي اهتمام روث التي لم تحاول الادعاء أنها لا تصغي.. ليس من النوع الملحاح؟ حسناً.. ليس كثيراً!

قال: على الأقل يمكننا تناول الغداء معاً.. لدي غداء عمل اليوم، ويوم الجمعة.. لكنني أستطيع رؤيتك.. غداً، الأربعاء، والخميس.. حددي الوقت. لا أريد أن أبدو وكأنني أفرض شيئاً عليك..

قاطعته ساخرة: هذا بعيد عنك..

ولم يخطر ببالها أبداً.. أبداً، أن تقول لا.

كما لم يخطر ببالها أن تتوقف لتعيد النظر فيما حدث في بحر أسبوع.. مجرد أسبوع واحد.. وتطلعت بشوق إلى غداء يوم الثلاثاء، بلهفة غريبة عنها.. أوه! لطالما تشوقت لأشياء في الماضي، لعطلات، لحفلات، وما إلى هذا. لكن.. هكذا؟ إنها لا تستطيع الانتظار لكي تراه ثانية.

كان من الصعب البقاء على صداقة عادية خلال الأوقات التي قضياها معاً خلال ذلك الأسبوع.. لكنها لم تستطع ولم تجرؤ على تركه يرى كم هي متلهفة، كم هي مهتمة.. من ناحية أخرى، كان راند فاتناً، مسلياً، ومرحاً، يطلق العنان لاهتمامه بالظهور. كان كذلك استعراضياً، بطريقة ما أكانا يسيران من وإلى مكتبها، أم كانا في التاكسي، كان يتم هذا دائماً بداً بيد.. دائماً كان يمد يده إلى يدها وهو يلتقيها فوق سلم المعرض، وهما يغادران المطعم.. ذهبا خلال المناسبات الثلاث المتتالية إلى ثلاثة أمكنة مختلفة.. أماكن بأجواء وطعام جيد.. أماكن استقبل فيها راند بالاسم وأعطي أفضل طاولة.

على أي حال، كان هذا كل ما جرى.. لم يحاول أن يفعل سوى إمساك يدها.. ولا حتى حاول وضع ذراعه على كتفيها.. قالت لنفسها

إن ليس من أسلوبه أن يأخذ امرأة بين ذراعيه علناً ولو في داخل سيارة..
وبدأت تتساءل ما إذا كانت مخطئة في فهمه.. لا.. هذا مستحيل.

التجاذب موجود بينهما لا شك فيه، ويزداد قوة كل مرة التقيا فيها وكلاهما يشعر به.. فلماذا إذن لا يحاول ضمها؟

كان على دان أن تواجه الكثير من المزاح والتساؤل.. مزاح من روث وأسئلة من هوارد غالايز.

سألها هوارد لحظة فتحت له باب شقتها ليلة الاثنين، ليأخذها إلى التمرين:

ـ ما الذي حدث لك؟

حاولت أن تتجاهل ما يعني حين سألها ما الذي حدث منذ آخر مرة شاهدها فيها.. وسألها عما جرى في عطلة الأسبوع.. وقالت له. ولماذا لا تقول؟ على الأقل قالت له القدر الذي تهتم بأن يعرفه.

وتجاوبت بالطريقة ذاتها مع روث، تخبرها فقط ما تريدها أن تعرفه.. روث هي مرافقة لها طوال النهار وهي أنثى حتى أخمص قدميها، وتعرف قبل أن تعرف دان ما الذي حصل لها.. لكنها لم تقل شيئاً، وأخفت المزاح المزعج لحظة عرفت.

لم يكن هناك مشكلة مع السيد رنغتون. فحسبما عرفت دان، لم يكن لدى الرئيس فكرة عن الغداء مع راند.. مع ذلك، ما كان ليتطفل لو عرف.. ليس لأن هذا ليس من طبيعته وحسب، بل كذلك لأنه كان دائم الشرود.

تكلمت بصوت منخفض، والتاكسي يتوقف عند سلم صالة العرض يوم الخميس:

ـ راند؟ أنت لم تقل شيئاً منذ غادرنا المطعم.. هل هناك شيء خاطىء؟

كانت تحس بعدم الأمان. بدأت تشك في قدرتها على الجاذبية ولو أنها تعرف كم هو منجذب إليها.. كانت يدها في يده يمسكها بقوة.

ـ بالطبع لا.. كنت أفكر فقط بعطلة الأسبوع، أعني هذا الأسبوع.

ماذا في عطلة هذا الأسبوع؟ كانت عيناها تبتسمان له، وهي تنتظر، تتوقع أن يقترح عليها تناول العشاء معاً.. كانت حرة ويعرف هذا، يعرف أن لا تمارين مسرحية في نهاية الأسبوع.

ـ أنا ذاهب إلى كوتسولد مساء الغد.. ذاهب لأرى ميرلن.

ـ أوه.

إنه ذاهب ليرى شقيقته.

ـ أنا أذهب إلى هناك دائماً.. أحب قضاء وقتي معها حين أستطيع.. حين أكون حراً.

أبقت ابتسامتها حيث هي: طبعاً.

لكن خيبة أملها كانت كبيرة.. حين يكون حراً؟ لكن ماذا عنها هي؟ بالتأكيد لن يفضل البقاء مع أخته على..

واضح أنه يفضل.

قالت بإشراق: أظن أن هذا أمر لطيف.. أعني التواصل هكذا. لو كان لي أخ أو أخت.. كنت..

ـ دانيالا.. أنا..

صمتت على الفور، تصغي، تنتظر، تراقب لكنه لم يقل المزيد. حتى حين طلبت منه لم ينه ما كان سيقول: تابع.. ماذا كنت ستقول؟

ـ لا شيء.. فقط أنني سأتصل بك الأسبوع القادم باكراً، في الأسبوع القادم.. ألا بأس في هذا؟

ـ أبداً.

حين مال إلى الأمام ليفتح باب التاكسي خرجت تجاهد كي تخفي خيبة أملها، كي تبقي ابتسامة مشرقة على وجهها.

حسناً.. لديها خططها الخاصة لعطلة الأسبوع.. لكن أمسياتها ستكون خالية.

أمضت يوم السبت في شراء قماش لتخيطه تنورة لدورها في المسرحية

وزجاجة عطر قوية ورخيصة.. يجب عليها فعل شيء لأمسية يوم السبت.. لم يكن هناك شيء على التلفزيون.. من السهل الطلب من هوارد أن ينزل إلى شقتها عليهما يراجعان المسرحية معاً، لكن قلبها لن يكون موافقاً على هذا.. ثم لا بد أنه في الخارج، اليوم هو السبت، كما أن ليس من العدل استغلاله هكذا.. فهي تريد صحبة.. لكن.. صحبة راند.

بحلول وقت الغداء يوم الأحد، كانت قد أنهت خياطة التنورة على ماكنة خياطة يدوية وارتدتها. ستضحك عالياً لضيقها، ومع بلوزة قرمزية ضيقة ستصبح بكل تأكيد في المزاج الذي يعبّر عن الشخصية! أبقت الثياب عليها.. طالما ترتدي ثياب البطلة، هناك العطر، ربما لو وضعت منه قليلاً، قد تتمكن من التواصل مع الشخصية.. فهذه كانت الفكرة من شرائه.

نجحت.. ونجحت أكثر مما توقعت.. ونسيت دان شخصيتها الخاصة وهي تراجع الدور.. وتضع الماكياج، وتردد الدور لنفسها أمام المرآة.

كانت الساعة حوالى الثانية حين رن جرس الباب.. سارت بسرعة لترد.. لا بد أنه هوارد دون شك، وهي متلهفة لتعرف رأيه بملابسها وزينتها... لكن الطارق لم يكن هوارد.. كان راند.. كان يبتسم وهي تفتح الباب، مستنداً إلى إطاره وهو يقول: صدقي أنني كنت.. يا إلهي!

شهق غير قادر على تصديق ما يرى.

ـ دانيالا! ما هذا؟ هل أنت مستغرقة في نوع من الخيال الفاسق.. أم أن لك حياة سرية؟

ما إن تغلبت على صدمة رؤيته، حتى بدأت تضحك.. مضطربة، عاجزة، أمام النظرة على وجهه.

التوت شفتاه وتحول رعبه إلى ذهول:

ـ أجيبي يا امرأة! ماذا تضعين حول عينيك؟ وما هذه الرائحة؟

أخذ يضحك معها.. عليها.. معها.. على نفسه.

ـ أعني.. ماذا.. ماذا يجري؟ دانيالا.. تبدين للعالم أجمع، أرخص نوع من فتيات الشارع!

تابعت ضحكها.. لا مجال أبداً أن تتوقف.. بيدها اليمنى أمسكت معدتها، وباليسرى أشارت إليه.. كان لا يزال واقفاً في الممر الخارجي، والباب مفتوح على مصراعيه وصوته العميق يرن دون حذر.

دخل:

ـ لست واثقاً أنني أريد الدخول.

أقفل الباب وراءه وأطلق العنان لضحكه:

ـ لا تقولي لي إن كل ما أريتني إياه حتى الآن هو الوجه الذي تظهرينها للناس؟ لكنك في الواقع، دان.. الغانية؟ صحيح؟

ـ صحيح!

لم تضحك في حياتها هكذا.. ضحكت حتى آلمتها معدتها، لا تستطيع البدء في التفسير.

ـ إنها المسرحية.. إنها.. إنني.. هذا لأجل المسرحية أيها الأبله!

غاص في مقعد:

ـ هذه قصتك أنت.. إذا ضحكت هكذا وأنت تسلين زبائنك، فلن تصلي إلى الثراء عزيزتي. إذا كان هناك شيء يكرهه الرجل، فهو أن تضحك امرأة عليه.. وهو...

شدت قبضتيها صائحة: توقف عن هذا! أرجوك.. كفى..

لكنها لم تتوقف عن الضحك إلا بعد أن أصيبت بالفواق وسألت بصوت متقطع:

ـ ماذا.. تفعل هنا.. راند؟ ظننتك..

رفع يده ورأسه يتحرك من جهة إلى أخرى:

ـ لا أستطيع التحمل.. هذه المادة السوداء حول عينيك.. تبدين فظيعة.. كالمريضة.. امسحيها! ولأجل السماء واجلي، اغتسلي!

بسطت يديها تبتسم:

ـ ألعب دور غانية تكبر في السن، مخلوقة تثير الإشفاق، حياتها وصلت مرحلة حاسمة.. مرحلة الانهيار.

ـ إذا لم تتوقفي عن النظر إليّ عبر هذا القناع فسأصاب أنا بالانهيار.. هيا اخلعيه..! أزيلي كل شيء عنك.. وابدأي بوجهك!

بدت دان مجروحة.. وقالت بغضب: ألا تعجبك ملابسي راند؟

نظر إلى التنورة، ولاحظ ضيق البلوزة:

ـ التنورة حلم.. ويمكنني أن أعتاد على الدهان القرمزي على جسمك العلوي.. لكن الماكياج.. لن أستطيع العيش معه!

ضحكت دان مرة أخرى وتراجعت إلى غرفتها.. وضعت حفنة كريم تنظيف على وجهها وأخذت تزيله بمنديل ورقي ثم، لأن هذه أسرع طريقة، خلعت ملابسها ودخلت الحمام تقف تحت الدوش.. رغت الصابون على جسمها بسرعة. ثم عادت إلى غرفة النوم، تنظر بإعجاب إلى ثوب نومها الطويل وتقرر أن لا ترتديه.. وارتدت الجينز والتيشيرت بدلاً منه.

وجدت راند في المطبخ، يصنع القهوة.. استدار يبتسم لها.. فابتسمت له بوجه نضر نظيف رائحته الصابون فقط. وكان هناك جولة أخرى من الضحك بينهما، لكنها تلاشت بسرعة.. ووقفا على بعد قدمين ينظران إلى بعضهما.

قال بصوت منخفض: مرحباً.

ـ مرحباً راند.

همس: رائع أن أراك.

ـ ورائع أن أراك أيضاً.

تحركا في الوقت عينه، ذراعاها تنسللان حول عنقه، وذراعاه يلتفان حول خصرها.. حضنها.. عيناه تبتسمان لها.. رفعت رأسها إليه:

ـ ضمني أكثر.. راندولف لوماكس. إذا لم تعانقني في التو والحال..

سأصاب بانهيار عصبي!

ضحك:

ـ ظننتك لن تطلبي مني هذا أبداً!

تعانقا بكل شوق شخصين حرما بعضهما منذ زمن طويل..

تحركت يداه على مؤخرة رأسها:

ـ أوه.. دانيالا!

تراجعت عنه.. ولم تعد تتصل به سوى بعينيها المنجذبتين إلى عينيه.. واستدارت عنه، تشغل نفسها بإضافة الحليب إلى القهوة:

ـ هل تناولت.. الغداء بعد؟

ـ لا.. وأنت؟

ـ لا.. كنت مشغولة جداً بتفحص دوري، ألا تذكر؟

ـ متى العرض الحقيقي؟ أم أقول العروض؟

ـ هذا الأربعاء أول ليلة، وستستمر حتى يوم السبت.

ـ سأكون هناك.. في الليلة الأولى.. لن أستطيع الانتظار..

عادت للضحك مجدداً:

ـ لا راند.. لا أعتقد أن هذا سيناسبك. سيكون المتفرجون من الكبار في السن الذين لا يتحملون أجر مسرح حقيقي حتى لو أرادوا.. وقاعة الكنيسة تصبح مختنقة في مثل هذا الطقس.

ـ هل أفهم من هذا أنك لا تريدين أن أكون هناك؟

ـ أظن أنني سأشعر بالحرج.

ـ هذا سخف!

ـ ربما.. ماذا عن الغداء، أتضور جوعاً! هل نتناول هذه القهوة ثم نخرج لنأكل؟

ـ إذا كان هذا ما ترغبين به، فلا بأس، أعرف مطعماً صغيراً قرب النهر حيث يمكن أن نأكل في الخارج.

كان بعد ظهر رائع.. وسارا على ضفاف التايمز بعد الغداء بصمت،

يتمتعان بصحبة بعضهما.

انحنت تلتقط زهرة بيضاء:

ـ عدت من كوتسولد.. باكراً.

أخذ منها الزهرة يمررها تحت ذقنها وعيناه الزرقاوان تبتسمان لها، وقال ببساطة: اشتقت لك.

حين افترقا في السابعة، كان هذا لفترة ساعة فقط.. كانا سيذهبان إلى مكان ما لتناول العشاء، ويجب أن تغير ملابسها. لم يكن في وداعهما استعجال ولا تشوق، مجرد عناق طويل بطيء تركهما معاً بشوق.

ماذا سترتدي؟ فتشت في ثيابها واختارت فستاناً بلون الورد الأحمر، لا يجب على حمراوات الشعر ارتداءه.. وهي تضعه عليها، نظرت في المرآة.. إنه درامي جداً.. غير مناسب لهذه الليلة. بدا لها ثوباً بسيطاً أيضاً أصفر اللون، هو الحل المناسب.. وارتدت حذاءً متوسط الكعبين باللون عينه.

الشعر إلى فوق أم إلى تحت.. راند يحبه كما هو منفلتاً.. والعطر؟ «أوبيوم»، سانت لوران.. ما غيره؟

بعد ساعات وكانا يطيلان مدة تناول قهوتهما بعد العشاء، مد راند يده إليها فوق الطاولة:

ـ للأسف الشديد، لا مكان للرقص هنا يوم الأحد.

أخذت أصابعه تداعب يدها، تدور في دوائر. فجأة لم يعد هناك حديث.. ولا أحد غيرهما في المكان.

ـ هل أنت جاهزة للعودة إلى البيت.. دانيالا؟

ردت بصوت لا يكاد يصل الهمس: أجل.

كانت بين ذراعيه حتى قبل أن يصلا سيارته.

ذهبا إلى شقتها بصمت، كان يتكلم مع نفسه. كان يعرف بالضبط بماذا تفكر.. ألم يكن الحال هكذا دائماً؟

بهدوء وقف ببابها، يرفع ذقنها بأصابعه:

ـ حسناً دان.. ألن تدعيني للدخول؟

أغمضت عينيها:

ـ لا.. لا أظن هذا راند.

للحظات لم يتحرك، لم يتكلم.. وبقلب خافق انتظرت.

تحركت أصابعه إلى شعرها، تندس في خصلة شعر منفلتة:

ـ فليكن ما تريدين.

فتحت عينيها متسائلة، قلقة: متى سأراك؟

ـ يوم الأربعاء.. قلت لك هذا.

راقبته يبتعد، ثم يستدير عند الزاوية الموصلة إلى السلم.. ويختفي.. لكن ليس من تفكيرها أبداً.

لكن ما إن دخلت السرير حتى تذكرت.. تذاكر الليلة الأولى للعرض المسرحي مباعة كلها.. ولا يوجد تذاكر متوفرة لليلة الأربعاء.

* * *

٤ ـ وردة حمراء وحيدة

تتابع التصفيق والهتاف وتتابع!

انحنت دان وهي لا تزال مهتاجة تأثراً، تبدي التقدير والشكر للتزايد المفاجىء في التصفيق. وجابت عيناها في الحضور، لكنها لم تستطع الرؤية إلى أبعد من الصفوف الأولى، فقد كانت قاعة الكنيسة معتمة جداً.. ولم يكن راند موجوداً.. لم تتوقع حقاً أن يكون جاداً في مسألة حضوره.

كانت قد مرت ثلاثة أيام منذ رأته، أطول أيام حياتها... كانت الساعات الوحيدة التي لا يشغل فيها بالها وهي تتمرن على دورها في المسرحية.. حتى خلال الاستراحة في آخر تمرين قبل العرض، كانت تفكر به وتتساءل عمّ يفعل، وأين هو.. لم يكن قد اتصل بها، لكن هذا الصباح وصلتها بطاقة بريدية تقول ببساطة: أفكر بك.. حظاً سعيداً لهذه الليلة.. راند.

أسدلت الستارة وتبادل أعضاء الفرقة التهاني والابتسامات.. وتعالى الحديث في مؤخرة المسرح ثم فيما بعد في غرفة الملابس.

كان هناك غرفتا ملابس إحداها للذكور والأخرى للإناث، وكانت دان تزيل ماكياجها وتتحدث إلى النساء الأخريات حين دخلت فتاة تحمل باقة زهور.

أعطت الباقة لدان:

ـ ماذا أقول! من هو دان؟ أتكلم عن الرجل الطويل الأشقر الوسيم! لم يكن هناك رد.. كانت دان تحدق مذهولة إلى دزينة الورد الأحمر

تحت غطاء من البلاستيك الشفاف، لم يكن هناك بطاقة مرفقة.. لكن لا مجال للخطأ فيمن أرسلها، ليس بعد وصف الفتاة له.. إما أن يكون قد حصل إلغاء لمقعد محجوز، أو أنه استخدم سحره للحصول على مقعد.

قالت الفتاة: حسناً، لا تجلسي هكذا.. إنهي ما تفعلين وغيري ملابسك.. فالرجل ينتظرك!

ـ إذن.. هو هنا!

ـ ما من شك في هذا عزيزتي! إنه في الخارج مع بعض الكبار في السن المنتظرين ليصافحوك.. أنت وبطل الرواية.

ضحكت لكلمات الفتاة، وسارعت في إزالة ما تبقى من ماكياج، وغيرت ملابسها.

اغتاظ هوارد كثيراً حين حاولت الابتعاد عنه فيما بعد. كان راند يعلو الجميع بقامته ويمسك بذراع دان يبتسم لقول الناس لها: «أحسنت» وللتهاني التي تتلقاها.

أرادت أن تبتعد، أن تخرج مع راند إلى العشاء الذي وعدها به. مع ذلك أحست بالارتباك وكأنها ليست مخلصة لأصدقائها.. وتمتمت لراند:

ـ هل تمانع؟ سنذهب لتناول القهوة والمرطبات.. في أول ليلة، نحن دائماً..

ـ أفهم.. ولا أمانع.

ـ هل تعني هذا؟

ابتسم يضم ذراعها بشدة تحت ذراعه:

ـ لا! لكنني سأفعل.. تعالي.

قالت ممازحة: سيفيدك أن ترى كيف يعيش النصف الآخر من المجتمع.

بدا المكان الذي تناولا العشاء فيه فخماً، مع أنه في الواقع لم يكن شهيراً. مجرد «تافيرنا» يونانية لا تبعد كثيراً عن منزل دان. كانت لا تزال ترتدي ملابس العمل لذلك اليوم دون تبرج على وجهها فطلبت من راند

أن لا يأخذها إلى مكان أنيق.

هكذا استقرا على الكباب والسلطة، والأرز، وكان.. مقبولاً.

قال راند: هذا ليس بالاحتفال الذي كنت أفكر به. أردت أن آخذك..

كانت روحها المعنوية مرتفعة بحيث لا تهتم بما تأكل أو أين هي، فقاطعته:

ـ لا يهم.. لقد كدت أفشل المسرحية، أتعرف هذا؟ لقد أعطيت هوارد الجملة الخاطئة، يا للمسكين.. هل لاحظت هذا؟

ـ لا أستطيع القول إنني لاحظت.. واضح أنه أحسن التصرف.. وكان تسلسل الحديث منطقياً.

ـ على المرء أن يحسن التصرف.. ثم فعل الشيء عينه معي في المشهد الثالث، فقد قفز إلى حوار آخر.. وصمت لحظات ملأتها ببعض الحركات التي لم تكن ضمن المشهد.. ولقد نجحت، فكل شيء سار على ما يرام..

ابتسم لها مشجعاً: أنا واثق من هذا.

كان يتمتع بالطريقة التي تبدو فيها.. كانت تبدو حلوة، مغسولة الوجه دون أثر للتبرج.. نمش وجهها.. نمشها! شردت أفكاره لحظات.. وعاد إلى السيارة وهي معه، يتذكر عودتهما من لايك ديستركت وهو يضحك من سخطها حين دعاها «يا نمشاء» إذ صاحت محتجة: لا تقل هذا! فأنا أكره النمش! أكرهه! حين كنت صغيرة كنت أضع اللبن الرائب عليه، وعصير الليمون الحامض.. قيل لي يومها إن هذا يجعله يختفي.. أخبار العجائز! لا شيء يمكنه أن يخلصني منه.. أنا مغرمة به إلى الأبد..

لكنه شخصياً يحب هذا النمش.

سمعها تقول: راند! لقد ابتعدت عني.. أنا أهذر، أعرف، وأنا آسفة.

أمسك يدها اليسرى يغطيها بكلتا يديه:

ـ لا تكوني آسفة.. دانيالا فرانسيس ماكولي.. أنت بهجتي.. فلا تعتذري أبداً، أبداً، لكونك على سجيتك، فأنا أحب رؤيتك هكذا..

في السيارة، وهما عائدان إلى الشقة، كادت أن تنام.. جعلها الوقت المتأخر، الجهد في التمثيل، توتر أعصابها، وتناولهما معاً الكثير من الحلوى بعد الطعام، تحس فجأة بالإرهاق.

ـ دانيالا.. لقد وصلنا البيت.. هيا أيتها الناعسة، سأوصلك إلى بابك.

نظرت إليه من خلف عينين نصف مغمضتين.. لقد قال: وصلنا البيت.. يا لها من فكرة جميلة.. لو أن لهما بيت معاً.

ـ مهلك لحظة.

كانت غلطة التورط هكذا وهما في السيارة.. وما بدأ بعناق ناعس، تحول إلى مدٍّ من المشاعر أطاح بتعقلهما.

جعلهما تقدم سيارة أخرى يبتعدان كمذنبين. وتوقفت السيارة، انطفأت أنوارها.. وأقفل بابها. واتجهت وقع الأقدام نحو المبنى.

جاء صوت راند قاطعاً عبر العتمة، وكلماته مليئة بالمرح:

ـ ظننت نفسي قد تجاوزت هذا النوع من الأمور.. في سيارة، بحق السماء! أنا أكبر سناً من هذا بكثير!

امتدت يده إلى مؤخرة عنقها وأصابعه تتحرك إلى شعرها:

ـ دعينا ندخل حلوتي..

أحرجها اتجاه أنوار السيارة إليها على عكس راند، لم تجد هذا مضحكاً.. بالنسبة لها، المزاج.. ذهب وولى.

قالت بنعومة: سأدخل بنفسي.

ومدت يدها إلى مسكة الباب.

ـ دانيالا.. لماذا؟

أجابته بالحقيقة.. كما هي تماماً:

ـ أنا آسفة راند.. حقاً أنا آسفة. أنا مشتتة ومتعبة، والساعة الثانية صباحاً.. و..

ـ لا تفعلي هذا بي دائماً!

عضت شفتها تعي الإنذار في لهجته.

أضاف: لا تلاعب.. أظننا اتفقنا على هذا. على أي حال أنت تقاتلين في معركة خاسرة.. وقلت لك هذا منذ بعض الوقت. سنكون حبيبين.. وهذا أمر محتوم.. والآن تعالي، سأوصلك آمنة إلى الباب.

محتوم.. كررت الكلمة في نفسها وهي تستعد للنوم.. إنه محتوم.

لم تتوقع سماع شيء منه في اليوم التالي أو يوم الجمعة.. كان قد ذهب إلى «برايتون» في عمل، وسيبقى هناك ليلة.. وقال لها إنه سيراها يوم السبت.

صباح السبت جلست قرب جهاز الهاتف.. ما الذي حدث؟ لماذا لم يتصل؟ ربما يجب أن تتصل هي به؟ لا.. لقد أعطاها رقمه الخاص لكنها لم تستخدمه يوماً.. وهي الآن كارهة أن تتصل به. ماذا لو كان قد غير رأيه.. وذهب إلى شقيقته لقضاء عطلة الأسبوع؟

في الثانية عشرة والنصف، خرجت من المنزل على مضض شديد، لكنها كانت مضطرة للتسوق.. لم يكن هناك طعام في الشقة، وهي جائعة.. ثم ماذا لو لم يتصل؟ بماذا يفكر؟ لقد قال إنه سيراها.. لكن متى؟ أين هو الاتصال الهاتفي لترتيب الأمور؟

لم تغب طويلاً.. لدى عودتها عادت للانتظار، وبدأت تقلق.. هذا ليس من عادته، ولماذا لا تتصل به؟ هل سيبدو الأمر وكأنها تلاحقه؟ لا.. ليس في هذه المرحلة.

حاولت طلب رقمه دون جواب، ثم تذكرت أن اليوم هو السبت، والمعرض يفتح أبوابه.. ربما هو في الصالة أو في مكتبه؟ طلبت الرقم الذي يوصلها بمكتبه لتسمع الرد:

ـ مكتب السيد لوماكس؟

بدهشة، أعادت السماعة مكانها.. إنها تعرف هذا الصوت. صوت سكرتيرته، المرأة التي كانت مريضة لأسابيع عدة.. لم تكن تتوقع وجود موظفي المكتب يوم السبت.. لا جدوى من الكلام مع السكرتيرة.. فما هو العذر الذي ستعطيه لها للاتصال في عطلة الأسبوع؟

حين لم يحدث شيء حتى الوقت الذي كان عليها فيه الذهاب إلى قاعة الكنيسة.. حاولت الاتصال برقمه الخاص مرة أخرى.. كانت الساعة تقارب السادسة.. وسيصل هوارد قريباً.. عليها الذهاب إلى القاعة باكراً، لأجل الحديث مع بقية الممثلين ولتغيير الثياب والماكياج.

لكن، دون رد.. كالبلهاء، تركت الهاتف يرن أكثر من عشرين مرة.. آملة.. آملة.

ربما حصل له حادث؟

لا يمكن التفكير بهذا!

مذعورة.. أعادت السماعة إلى مكانها بحذر.. مبقية نظرها عليها وكأن الآلة تعرف شيئاً لا تعرفه هي.. راند.. أين أنت؟

ربما اتصل وهي في الخارج؟ ربما حضر إلى هنا؟ لا.. فهي لم تطل الغياب.. لو أنه جاء إلى هنا لانتظر قليلاً.. بالتأكيد؟ لا.. إنه يتصل أولاً ليتأكد من وجودها.. ربما هما على سوء تفاهم وأهملا توضيح الأمور؟ قال: سأراك.. وليس سأتصل بك.

هذا هو السبب.. لا بد أن يكون.. لا بد أنه كان يعني أنه سيأتي ليأخذها بعد عرض الليلة. أسرعت إلى غرفة النوم لتمسك فستاناً في اللحظة التي رن فيها هوارد جرس الباب. ستأخذ الفستان معها وحقيبة زينتها لتكون على استعداد للخروج حين يأتي ليأخذها بعد العرض.

كان هناك بعد انتهاء المسرحية.. وأعلن عن وجوده هذه المرة بوردة حمراء واحدة.. أدخلتها الفتاة عينها إلى دانيالا، وهي تزيل ماكياج المسرح.

ـ حسناً دان.. يجب أن أقول إنني أحسدك. هل يعرف ماذا يعني هذا

بلغة الزهور؟ أحبك.. أليس هذا ما تعنيه؟ أليست دزينة الورد الأحمر للصداقة.. والوردة الوحيدة لمثل هذا التصريح؟

أجابت دان صادقة: أنا.. لست أدري! أشك في هذا!

أخفضت الفتاة صوتها:

ـ إنه في الخارج.. أعني أنه ينتظرك.

ـ أوه.. أرجوك، قولي له إنني لن أغيب أكثر من خمس دقائق.

ـ بكل سرور، لا تقلقي، سأسليه عنك!

حين خرجت دانيالا، كانت الفتاة تفعل بالضبط ما قالت.. وبلباقة، اعتذرت وتركتهما.

نظرت دان إلى الوردة:

ـ راند..! أنا.. أشكرك على هذه.. أقلقني ما كان بالإمكان أن يحدث لك اليوم.. فأنت لم توضح لي..

بدا مشغول الفكر:

ـ أعرف.. وأنا آسف لهذا.. لم أكن أعرف بالضبط ما ستكون عليه خططي اليوم. على فكرة، أراك الليلة أفضل من ليلة الأربعاء.

بجفلة، بدأت تضحك:

ـ أنت لم تحضر العرض كله مرة أخرى؟ ظننتك وصلت لتوك.. حاولت الاتصال بك حتى السادسة مساء.. لكن..

ـ كنت قد غادرت المنزل.. وتناولت القهوة في الطريق إلى هنا.. أنا لست وحدي دانيالا.. لقد جئت معي بأختي. حاولت الاتصال بك حوالى الواحدة لكنك لم تكوني في المنزل.. كنت أفكر في أن تخرجي معي ومع مرلين للغداء.. إنها معي طوال اليوم.

صاحت بابتهاج: جئت معك بأختك؟ هي هنا؟

ـ تنتظرنا في الردهة.. وفكرت أن نتناول العشاء معاً.. ستقيم معي عطلة الأسبوع.

ـ أوه.. لكنني أكاد أموت شوقاً للتعرف إليها!

وهي تتحرك، أمسك ذراعها:

ـ مهلك لحظة دانيالا.. انتظري!

كان في صوته رنة غريبة.. فاستدارت لتواجهه مقطبة.

ـ هناك شيء أريد قوله لك.. ميرلن عمياء.

رددت دان الكلمة مصعوقة: عمياء!

وراقبت للحظات تعبير ألم سريع على وجهه.

ـ أوه.. راند.. أنا.. أنا.. لم يكن لدي فكرة! أنا.. أنا آسفة جداً! لماذا لم تذكر هذا من قبل؟

لم يرد.. بل أمسك ذراعها:

ـ تعالي.. ميرلن تصر دائماً على أن أخبر الناس قبل اللقاء بها.. فهي تظن أنها تسبب لهم إحراجاً إذا لم يعرفوا.

وهي على حق في هذا.. أحست دان بقلق يستقر في داخلها.. فلو أن راند قدمها إلى أخته دون تحذير مسبق، لأحست بالإحراج. لم تختلط بمن هو أعمى من قبل، لكنها كانت متأكدة أنهم يريدون أكثر ما يريدون أن يتصرف الناس معهم بشكل طبيعي دون حرج.

وهذا بالضبط ما تصرفت دان به.

لسوء الحظ، كان هناك صدمة أخرى في انتظارها.. فراند لم يذكر لها أن ميرلن هي توأمه.. لذا ما إن وقع نظر دان عليها حتى أجفلت للشبه الغريب بينهما:

ـ يا إلهي.. أنتما متشابهان جداً! أنت جميلة ميرلن!

تكلمت دون تفكير، تعبر تماماً عما جال في فكرها.. كانت ميرلن بطول مئة وثمانين وسبعين سنتمترا، تقف بكل كبرياء، مستقيمة الظهر، أنيقة في بذلة كحلية مخملية السترة، وتنورة مماثلة. توأم راند ما عدا أن شعرها الأشقر لا يخالطه أي لون رمادي.. كان صافياً، أشقر بلاتيني طبيعي. كانت عيناها كذلك بالضبط كعيني أخيها، شديدتا الزرقة، لا تظهران أبداً عدم قدرتهما على الرؤية.

رددت ميرلن: جميلة!

ها هو التشابه مجدداً.. في الضحكة الناعمة تماماً كما يضحك راند حين يكون متسلياً بالفعل، وعلى وشك أن يرمي نكتة.

ـ ومتشابهان؟ حسناً، هذا يوضح لك الكثير راند. أليس كذلك؟

أدارت رأسها وكأنها تراه.. كان واقع أنها كانت تدير عينيها بشكل عام دون التركيز عليه، لا يظهر أبداً..

ثم استدارت ميرلن نحو دان، وابتسامة مرح حقيقي على فمها.

ـ ويوضح لي الكثير عنك أيضاً.. أنت متميزة!

مدت يدها:

ـ على أي حال أنا سعيدة بمقابلتك.. كيف حالك؟ لقد تمتعت بأدائك المسرحي! أخبرني راند كم كنت ممتازة حين شاهدك يوم الأربعاء.. لذا طلبت منه أن يأتي بي إلى هنا الليلة.. فأنا أحب مشاهدة المسرحيات.. إذا فهمت ما أعني!

كان هذا كل ما تحتاج إليه دان لتشعر بالراحة مع ميرلن، وأمسكت اليد الممدودة:

ـ شكراً لك.. لكن كما قلت لراند منذ أيام، لا يمكن تسمية هذا بسهرة في المسرح.. صدقيني، قاعة الكنيسة هذه مكان.. بدائي جداً.

هزت ميرلن رأسها، وهزت كتفها كأنها تعرف تماماً ما تعنيه دان ولا يهمها أبداً.. ثم ضحكت وأخفضت صوتها:

ـ لم أدرك كم كانت المقاعد قاسية إلا بعد انتهاء العرض.. لهذه الدرجة كنت مهتمة.. وأظن المسرحية حزينة جداً دان.. أعتقد أنني ضحكت في مواقف خاطئة.. لكن الناس يفعلون هذا عادة، أليس كذلك؟ يضحكون مما يخافون منه.

ـ أجل.. أظن..

أخيراً قاطعهما راند:

ـ أرجو عفوكما سيدتاي.. لكن أتعتقدان أن بالإمكان متابعة هذا

النقاش في السيارة؟

وهذا ما فعلتاه.. ناقشت دان وميرلن المسرحية خلال الرحلة، دون اهتمام إلى أين. كانت دان تجلس إلى جانب ميرلن تمسك وردتها وتلتصق بها.. واضح أنهما أحبتا بعضهما فوراً، وأحست دان بالارتياح لظهور الراحة على راند.

سألت ميرلن: وما هي المسرحية التالية؟ هل اخترتموها؟

ـ لا.. لن يكون هذا قبل شهر أيلول.. فنحن لا نقدم شيئاً خلال تموز وآب.. فالكثير من الناس يذهبون إلى العطلات وليس من الضروري أن أشارك في المسرحية القادمة.. يجب أن ينال الجميع فرصتهم.

ـ لكنك ستخبريني، ألن تفعلي؟ أود أن أجيء لأحضرها إذا كنت أنت فيها. سأعطيك رقم هاتفي فيما بعد.. ودان، حين يأتي راند في المرة القادمة إلى كوتسولد، تعالي معه. لدي شقة جميلة هناك، غرفتي نوم فقط.. لكن نستطيع تدبير أمرنا.

ـ تعيشين لوحدك؟

ـ تقريباً.. ألم يخبرك راند؟ حسناً.. أعيش في مكان خاص بالعميان.. لكن في شقة خاصة بي. إنها في أحد الأجنحة.. جناح لوماكس.. لقد دفع راند كلفة بنائه.. إنه امتداد للبناء الرئيسي الذي كان أساساً مسكناً خاصاً.. وفيه عدة شقق مكتفية ذاتياً.

كانت دان تنظر إلى راند بينما ميرلن تتكلم.. أخذت تتحدث عن جيرانها، كيف أن بعضهم يرى قليلاً، ولماذا البعض حالهم أفضل في المبنى الرئيسي..

كانت دانيالا تشعر بشيء من الامتعاض.. لقد دفع كلفة الجناح الإضافي؟ جناح لوماكس؟ لماذا لم يخبرها عن أخته.. لماذا لم يخبرها أي شيء عن هذا؟

وصلوا ماي فير، وأخذت السيارة تدور بهم حول المبنى الذي يحتوي على معرض لوماكس.. وأوقف راند السيارة في فناء صغير في مؤخرة

المبنى.. كان هناك مدخل مباشر إلى شقته.. وكانت دان متشوقة كي ترى منزله، وهذا يعني أنها سترى مجموعته الخاصة من اللوحات.

كان الجميع يتناول العصير في غرفة الجلوس حين اعتذر راند:

ـ عذراً يا فتاتاي، سأذهب لأهتم بالعشاء.

سألته دان: أتريد المساعدة؟

ـ لا.. أستطيع الاهتمام بنفسي.. الأمر بسيط، صدقيني.. ابقي هنا لتسلية ميرلن.

بعد رحيله، استدارت إلى شقيقته:

ـ أنا لا أعرف شيئاً عنك.. ماذا تفعلين.. كيف تمرين الوقت؟

ـ أوه.. أبقى دائماً مشغولة.. صدقيني، فأنا أعمل على محوّل الهاتف في الدار ثلاثة أو أربعة أيام في الأسبوع.. وأقوم كذلك ببعض العمل الاستشاري مع أشخاص لم يمر عليهم وقت طويل وهم عمي. أحاول مساعدتهم على التكيف وتشجيعهم وجعلهم يؤمنون أن المرء ليس عديم الفائدة لمجرد أنه لا يستطيع أن يرى.. ولقد دعينا كذلك إلى بعض المدارس في المنطقة لإلقاء محاضرات. الكلام مع الأولاد عن كيف يكون المرء أعمى. الأمر مثير للاهتمام حقاً، يجب أن تسمعي بعض الأسئلة التي يطرحونها!

تأثرت دانيالا: مثل ماذا؟

ـ مثل هل يحلم الأعمى، وما إذا كان حلمه بالألوان.. أوه.. أجل. حتى أنني أعطيت محاضرتين في الراديو..

صمتت قليلاً ثم تابعت:

ـ وبالطبع أنا أقرأ بطريقة «بريل» وأقضي الوقت أحياناً بتسجيل الشرائط، قصص ليصغي إليها الآخرون الذين لم يتعلموا القراءة بعد.

ـ حسناً.. أنت حقاً تبقين مشغولة!

ابتسمت ميرلن ابتسامة رضى، لكنها تلاشت في لحظة.. وسألت بهدوء:

ـ أنت لم تعرفي أي شيء من هذا.. ألم يقل لك راند أي شيء عني؟

أجابت دان بحذر: القليل..

ابتسمت ميرلن:

ـ هيا الآن دانيالا.. أنت لم تكوني تعرفين أننا توأم.. قولي الحقيقة! ألم يقل لك إن لديه أخت قبل الآن؟

ـ بالطبع!

لكنها اضطرت لأن تسأله قبل أن تعرف.. تسأله من هي ميرلن.

بعد قليل، كانوا جميعاً يجلسون حول طاولة طعام مستديرة يأكلون السلطة الطازجة مع الجبن، وخبز فرنسي طازج.. كانت الشقة رجالية، الأثاث في غرفة الجلوس من جلد ملوّن، لكنها مكان لطيف، فخم وجميل الأثاث.. مع أنه لم يكن ما توقعته دان.. أين هي مجموعة لوحاته؟

عند عودتهم من غرفة الطعام إلى غرفة الجلوس، برز عمى ميرلن جيداً، فقد كانت مضطرة لتحسس طريقها وقالت: أنا لم أتمكن بعد من حفظ ترتيب هذا المكان.. راند معتاد أن يقول لي إذا حرك شيئاً من مكانه، لكنني أنسى!

قال أخوها: هذا لأنك لا تأتين إلى هنا دائماً.. لا شيء تغير منذ زيارتك الأخيرة.

استدارت ميرلن إلى دان وهما تجلسان:

ـ أخي الحبيب متسلط جداً.. لكن لا بد أنك تعرفين هذا الآن.

نسيت دان نفسها، فابتسمت تهز رأسها ثم وقد أحست أن الفتاة ستقدر لها هذا، أضافت: آسفة ميرلن. لقد وافقت على ما قلتِه، لكنني للحظة نسيت أنك لا تريني.. فهززت رأسي.

قال راند: وابتسمت.

ضحكت ميرلن بابتهاج وهزت رأسها برشاقة:

ـ ستعتادين علي.

فكرت دان: أرجو هذا، وارتدت عيناها إلى راند.. أتمنى أن تتاح لي

فرصة الاعتياد عليك.. أن أعرفك حقاً.

سألت ميرلن:

ـ ماذا كنت أقول؟ أوه.. أجل، كنت أتكلم عنه! أخي الحبيب.. هل تملأ لي فنجان قهوتي، أرجوك؟ حسناً.. حول العمل. إذا لم يفرض نفسه علي في شقتي، يجبرني على المجيء إلى هنا.. إنه يأتي ليأخذني وكأنني غير قادرة على الوصول إلى محطة القطارات، وأستقل القطار.. لدي كلب مرشد.. مخلوق رائع اسمه بريل، هكذا أستطيع التجول بسهولة.. لكن راند يصر على أن يأتي بي بنفسه. و..

ضحك راند:

ـ ثم أجرك إلى الأوبرا أو إلى المسرح أو إلى حفلة موسيقية.. وأنت تحبين هذا!

حين قالت دان إنها تريد الذهاب إلى البيت لأنها لم تعد تستطيع إبقاء عينيها مفتوحتين، كانت تقول هذا بشيء من الندم:

ـ أتمنى أن أراك قريباً ميرلن.. لقد كان لقاؤك رائعاً.

وقفت الفتاة الأكبر سناً، ويداها ممدودتان وتحركت دان نحوها بسرعة تمسكهما معاً:

ـ وأنا أتمنى هذا كذلك دانيالا.. مهلك لحظة الآن.. يجب أن نتبادل أرقام الهاتف.. قولي لي رقمك، سأتذكره.. لدي ذاكرة ممتازة للأرقام.

أعطتها الرقم وكتبت رقمها في المفكرة الصغيرة التي في حقيبتها.. وسألت ميرلن:

ـ أخبريني.. أتفضلين أن أناديك دانيالا أم دان؟ أنا أحب أن أناديك دان، وأعتقد أن الجميع هكذا ما عدا راند الذي يظن الاسم بشعاً!

ـ أنا لا أمانع في كلا الاسمين.

قال راند: حسناً.. أنا أمانع.. أنا من الطراز القديم الذي يجب أن تكون المرأة امرأة.. أن أنظر إليها، أتحسسها، أشمها، وأن يكون اسمها اسم امرأة.

نظرت ميرلن إلى دان ويداها ترتفعان إلى ذراعيها، ثم إلى خديها:

ـ هل تمانعين؟

ابتسمت دان.. وانتظرت.. لم تمانع أبداً أن ترغب ميرلن في ملامسة وجهها.. لتحصل على فكرة كيف تبدو.

ـ أنا طويلة مثلك تقريباً.

هزت ميرلن رأسها:

ـ وأكثر جمالاً.. أنا واثقة. لقد أخبرني راند عنك وعن شعرك الرائع وعن عينيك ولونهما الغريب.. كم هما كبيرتين مؤثرتين..

قاطعها توأمها:

ـ ميرلن! أظنك قلتِ أكثر مما يجب.. يجب أن آخذ دانيالا إلى المنزل الآن.. وفي الحال!

قالت دان: لا.. لا.. أخبريني المزيد! يعجبني هذا!

مرت عشر دقائق أخرى قبل أن تخرج دان. ولم تقل ميرلن المزيد لكن المزاح استمر بين الثلاثة.

ما إن أصبحت داخل الجاغوار حتى استدارت إلى راند فوراً:

ـ لماذا لم تخبرني بأمرها؟ أعني قبل الليلة؟

هز كتفيه ولم ينظر إليها بسبب إرجاعه للسيارة إلى الخلف.

ـ لم يخطر ببالي هذا.. قبل أن تلتقي بها.

ـ لكن ماذا عن باقي الأمور؟

ـ باقي ماذا؟

ـ الدار، الجناح الذي بنيته.. هذا أمر رائع..

ـ هراء! لقد فعلت هذا لأجل ميرلن.

ـ هذا.. هراء؟ ماذا عن بقية الناس الذين يعيشون هناك؟

كان رده باتراً:

ـ دعي هذا وشأنه دانيالا.. هذا شيء لا أبحث فيه.. ولا أتطوع بالقول للناس إن أختي عمياء.

أجفلت وصمتت.

نظرت إلى يديها.. الناس؟ هل هذا ما هي بالنسبة له، واحدة من الناس؟ تحركت عيناها إلى الوردة الحمراء الملقاة على رف لوحة العدادات حيث تركتها.. وسألها راند:

ـ هل أعجبتك؟

ـ تعرف أنها أعجبتني.

ـ أجل.. وهي اعتبرتك فاتنة.. أعرف هذا لأننا مقربين جداً.

وهذا صحيح.. لكن على أي حال، كان راند قد تمكن من قراءة أفكارها منذ البداية بغض النظر عن محاولتها إخفاء مشاعرها.

انتظر لحظات إلى أن تمكنت من الثقة بنفسها ليكون صوتها طبيعياً.

ـ كنت أتوق لأن أسألك.. لكنني لم أرغب بهذا أمام ميرلن، أين هي مجموعة لوحاتك؟ السيد رنغتون يتحدث عنها بحسد كبير.

ـ إنها في المنزل.. بيتي. لا.. في المنزل. أنا على حق في أول قول لي.

أغمضت عينيها لحظة:

ـ هل سأسأل.. أم تقول لي؟

ماذا ستعرف عنه بعد هذه الليلة؟

ـ أتكلم عن منزل الطفولة.. منزل كبير واسع في «باكنغهام شاير».

ـ لكن.. من يعيش هناك؟

ـ مدبرة منزل وبضع خدم.. واللوحات.

ـ وهذا كل شيء؟

ـ كل شيء.. ما عدا أنا وميرلن، حين نكون هناك أحياناً نقضي عطلة الأسبوع معاً. إنها تحب المنزل.. تعرف كل زاوية منعزلة وكل شق في الجدار هناك وتتذكر كل التفاصيل.

لسبب ما، افترضت دانيالا أن ميرلن عمياء منذ الولادة.. لكن كلامه غيّر مفهومها:

ـ إذن.. كانت ترى؟

تأخر في الرد، وكان فيه رسالة أنه لا يريد مناقشة الأمر أكثر من هذا:

ـ أجل.. إلى أن أصبحت في العاشرة من عمرها. ثم.. جرى لها حادث.

كبتت ما كانت تريد أن تقول.. كانت رسالته واضحة تماماً: لا أريد مناقشة أمر الحادثة.

مرت لحظات دون قول شيء.. واستدارت السيارة بهما إلى الفناء خارج شقة دان حيث أوقفها في فسحة جاهزة، وأطفأ المحرك.

ـ سآخذك إلى منزل العائلة يوماً. أنت تريدين رؤية مجموعة لوحاتي.. صحيح؟

ـ صحيح!

ـ إنها في الواقع لي ولميرلن.. إنها تعرفها كلها تقريباً.. معظمها إرث عائلي منذ سنوات وسنوات.. وتتذكرها. تعرفها كلها وتعرف أين هي معلقة.. فكما قلت، تعرف ذلك المنزل من الداخل والخارج.. ولهذا نستبقيه. والآن بخصوص رؤيتك للمجموعة.. سيكلفك هذا.

مد يده يطفىء المحرك والأنوار، وضحكت:

ـ أوه.. صحيح؟ هذا ليس من طبعك راند!

ـ آه.. بلى.. وأطلب دفعة على الحساب.

ودفعت بكل طيب خاطر.

قالت على مضض تسحب نفسها منه:

ـ راند! الأفضل أن تذهب، راند..

ـ أجل.. لا أحب تركها في الشقة لوحدها طويلاً.. فهي ليست معتادة على المكان كثيراً.

وابتعد عنها جاهداً، يسأل بقلق: هل سأراك غداً؟

مرر يده على جبينه:

ـ اللعنة.. سأضطر إلى توضيب حقيبتي، ثم سأوصل ميرلن إلى

الدار.

توضيب حقيبته..

- إلى أين.. ستذهب؟

- إلى نيويورك. غداً في وقت متأخر.. أنا..

- نيويورك! أوه.. لماذا لا تقول لي أي شيء مسبقاً؟ كم مرة سأضطر لسماع نفسي وأنا أقول هذا؟

- حبيبتي! هاي.. استرخي.. أنا آسف. أنا آسف حقاً.. المسألة أنني لم أكن أعرف بهذا حتى هذا الصباح.. هناك القليل من موظفيّ أستطيع الثقة بهم للذهاب إلى هناك أو شراء اللوحات لي.. اثنان منهم في عطلة واثنان مصابان بالأنفلونزا.. دانيالا.. لا أريد أن أكدرك.. لكنني مسرور لانزعاجك.. وسأشتاق إليك.. سأعود في أسرع وقت ممكن.

وضعت يدها بيده، تحب الإحساس بها.

- لكن.. المؤتمر الصحفي.. المعرض، المؤتمر يوم الجمعة سيفوتك هذا.

- لا.. سأكون هناك.. سأكون قد رجعت.

- حقاً؟

- سأتأكد من هذا.

وابتسم لها.. ثم عانقها مودعاً.

* * *

٥ - لن يعود

بحلول يوم الثلاثاء، بدت الوردة الحمراء وكأنها تأسف على نفسها، وكذلك يوم الأربعاء. كانت موضوعة في وعاء خاص من الكريستال في الظل على إطار نافذة مطبخ دان لتنظر إليها في الصباح والمساء.

يوم الخميس بدأت الوردة تموت.

كان إدراكها أن راند هو في الجهة الأخرى من العالم، كمثل العيش مع ألم مزعج، تعرف أنه سيزول لكنه يزعجها كثيراً في الوقت الراهن.. من الأحد إلى الجمعة ستة أيام، لا.. بل خمسة، فهي ستراه يوم الجمعة. لقد قال إنه سيحضر المؤتمر الصحفي لأعمال فيليبي الفاريز. ما أبطأ الوقت!

كانت الوردة ميتة تماماً صباح الجمعة.

قبل خروجها إلى العمل، وقفت دان تنظر إليها. هل كان راند يعرف إلى ماذا ترمز حين أهداها لها؟ لديهم هواتف في أميركا.. أليس كذلك؟ لكنه لم يتصل.

أقنعت نفسها أنه على الأرجح مشغول جداً.. وربما ينتقل من مكان إلى آخر.. ثم إن فارق الوقت يجعل الأمور غير ملائمة أبداً.

على مضض انتزعت الوردة من القارورة ورمتها في سلة المهملات.. آملة أن لا يكون في هذا أي رمز أو نذير شؤم في أنها لفظت آخر أنفاسها اليوم.. هل اشتاق إليها بقدر ما اشتاقت إليه؟ هل يتشوق لبراها؟ هل غيابها يؤلم صدره؟

عادت إلى غرفة نومها تتفحص مظهرها في بذلة مخططة بلون القهوة والعاج وبلوزة عاجية، كانت تبدو مناسبة تماماً. سيفتتح المؤتمر الصحفي في السادسة تماماً، وسيستمر ساعتين، وسيكون الصحافيون هناك، صحافيون من جميع أقطار العالم.. لقد نظمت كل شيء، كل موظفي المعرض لديهم تعليمات أن لا يذكروا مصدر لوحة السيدة ذات الرداء الذهبي.. هذه اللوحة بالذات. ولا تزال لا تعرف سبب هذا.. ففهم راندولف لوماكس كما عليها أن تعترف، أمر صعب جداً.

أرقّتها صورتها في المرآة.. ربما يجب أن تغير ثيابها وتحمل البذلة معها إلى العمل؟ تريد أن تبدو منتعشة، نضرة للمؤتمر.

لأجل راند.

وهي تضحك من نفسها، تركت الشقة فوراً.

بحلول السابعة، بدأت تذعر.. لكن لم تترك هذا يظهر عليها.. كانت غرف المعرض تضج بالناس المتحركين من لوحة إلى أخرى، يتبادلون المرطبات والمقبلات المحضرة على طاولة.

لكن راند لم يكن من بين الناس.

كانت أسوأ الأفكار تمر برأسها: التأخير القسري، ضغط العمل، تحطم الطائرة! أين هو؟ لماذا لم يحضر؟

طرحت روث السؤال الذي كان يخطر ببال دان:

ـ أين هو السيد لوماكس الغامض؟

بالرغم من أن دان لم تتحدث معها عن علاقتها مع راند، أكثر من إخبارها أنها تقابله. فأن روث تعرف جيداً تأثير راندولف لوماكس على رئيستها.

ـ لست أدري.. فقط.. لست أدري! إنه يشتري لوحات في نيويورك، ومن المفترض أن يعود اليوم..

ابتسمت روث ابتسامة مطمئنة:

ـ هاي.. ارخي أعصابك.. أيمكن؟ ربما تأخرت رحلته، وهذا كل

شيء.

ثم.. فجأة.. بدا هناك.. عبر الغرفة المكتظة لمحته دان.. وفكرت بالأغنية: في أمسية ساحرة.. قد ترين غريباً..

هذا ليس بالغريب! ساعتها فقط وقلبها يخفق بجنون، أدركت أنها تحبه.. وبدأت تتحرك نحوه وابتسامتها متلهفة، مشرقة: أحبك، أحبك راند! قالتها مرات ومرات لنفسها، تضحك عالياً لأنها كان يجب أن تعرف قبل الآن، تضحك لأنه وقد شاهدها الآن، عرفت بالوثوق عينه أنه يشعر نحوها بما تشعر به.

إنه يحبها!

كان يتحرك نحوها بأسرع ما يمكنه عبر الناس، والتقيا في منتصف القاعة وأخذها بين ذراعيه، غافلين عما كان يجري حولهما.. يكاد يكتم أنفاسها، وقال لها كم اشتاق إليها.

ـ... أكثر أيام حياتي بؤساً.. دانيالا.

همست: ولي أنا كذلك.

ـ جئت مباشرة من المطار. حبيبتي أنا..

وهذا كل ما استطاعا قوله، فقد طلب منه صحافي أن يعرّف عن اللوحات الست التي أعارها للمعرض.. وهل يعرف من يملك لوحة السيدة ذات الرداء الزهري؟

قال: أجل أعرف.. لكن ليس لي الحرية أن أقول.. آسف.

تحركت دان مبتعدة.

كانت الساعة الثامنة والنصف حين خرجا. والتاسعة عند وصولهما شقتها.. دخلت على الفور إلى المطبخ لتضع غلاية الماء على النار، تنظر إلى القارة الفارغة على النافذة وتضحك لنفسها على الأفكار السيئة التي راودتها ذلك الصباح.. لا ليس هناك من نذير شؤم.. راند واقع في حبها مثلما هي واقعة في حبه تماماً.

نادت من فوق كتفها: هل أنت جائع؟ لدي..

توقفت في منتصف الجملة لإطباق ذراعين قويين حولها.. وأدارها نحوه:

ـ لك أن تراهني أنني جائع! لكنني لا أريد أن آكل شيئاً.

وتعانقا طويلاً إلى أن احتجت ضاحكة:

ـ يكفي! أحتاج إلى..

ـ لن أكتفي أبداً.. أبداً!

أنهت كلامها: إلي فنجان قهوة.. حبيبي.. صدقاً، أنا عطشى!

ـ وأنا كذلك.

ـ لفنجان قهوة..! أرجوك تذكر كم عملت جاهدة اليوم.. أعط الفتاة فرصة.. هه؟ اجعل من نفسك مفيداً، وأضيء الأنوار وأغلق الستائر.

انحنى لها:

ـ يعجبني هذا.. يعجبني.. يعجبني! ربما سأدير بعض الموسيقى!

وفعل كل هذا بهدوء.. جلسا على الأريكة، يشربان القهوة ويتحدثان. أخبرها عن رحلته لكن باختصار.. وبشكل محتم، سرعان ما كانت بين ذراعيه.

ـ راند..

كانت نبضاتها تتسارع، كل شيء في ذاتها يصرخ شوقاً له..

ـ راند.. أنا..

كانت لا تدري كيف تقول هذا الواقع له:

ـ هناك خطر.. أن.. أعني أنني قد أخيب أملك.

قطب بشدة.. ثم هبط عليه الفهم، ضمها بحنان وهي تهمس:

أوه.. أحبك كثيراً!

رفعها بين ذراعيه، وكانا عند باب غرفة الجلوس حين رن جرس الباب.. نظرت دان عبر المسافة القصيرة للردهة غير قادرة على تصديق ما سمعت. وأخفض راند رأسه ليهمس في أذنها:

ـ لا تردي! تجاهليه. سيذهب الطارق سريعاً.

لكن الجرس رنَّ مرة أخرى.

تأوهت:

ـ لا جدوى.. لا بد أنه هوارد.. أعرف هذا.. ولن يذهب. إنه قادر على سماع الموسيقى وسيعرف أنني هنا.

أنزلها إلى قدميها، يتمتم بشيء بغيض حول جارها.

بكل تأكيد كان الطارق هوارد.

ـ مرحباً دان! أتساءل إذا..

وصمت.. وعيناه تبتعدان إلى ما وراء كتفيها.. فاستدارت.. كان باب غرفة الجلوس مفتوحاً، وراند يقف قرب المدفئة، ظهره لهما.

قال هوارد بصوت منخفض: أنا آسف.. على الإزعاج.. سيد لوماكس.

سمعت دان صوتاً مزعجاً من غرفة الجلوس.. فاحمر وجهها بشدة مما زاد الأمور سوءاً.. ضاقت عينا هوارد قليلاً ثم بدا عليه الذعر:

ـ أوه! أنا.. دان.. سأذهب.. أنا آسف.. لم أكن أقصد..

سيطرت على نفسها وابتسمت:

ـ لا بأس، وماذا كنت تريد؟

ـ بعض أكياس الشاي.

ـ أكياس الشاي؟

ـ أجل، لدي ضيوف وليس عندي..

ـ أوه.. حقاً؟

ـ إنهما أبواي.. لم أكن أتوقعهما.. أمي لا تشرب القهوة أبداً وأنا لا أشرب سواها.. ولو عرفت بقدومهما.. المحلات مقفلة في التاسعة، وأنا لم..

ـ لا بأس في هذا.. لا تقلق هوارد.. انتظر لحظة سآتيك ببعض الشاي.

لكن قبل أن تتحرك، وصل راند وسترته فوق كتفه، يسير بسرعة جعلت دان وهوارد يتراجعان بسرعة عن الباب.

لم تصدق دان أنه ذاهب: راند..

ـ سيد لوماكس..

تجاهل راند جارها:

ـ أنا آسف دانيالا.. سأشرح لك.. حين أقدر.

وابتعد.

بقدر ما كانت مصدومة، كان هوارد كذلك وهما يراقبان راند يستدير في زاوية الممر.. واستعاد هوارد وعيه أولاً ليسأل:

ـ يا الله.. ماذا دهاه؟

لو أنها تعرف!

ـ دان.. لا أعرف ما أقول.. لم أقصد أن أتسبب بخروجه!

ابتسمت ابتسامة قاسية لا مرح فيها.. كم يقدر نفسه.. وكأنه يستطيع التأثير على راند!

ـ سأحضر لك الشاي.

حين فعلت كانت يداها ترتجفان، وعاد هوارد شاكراً إلى شقته، يتركها تتساءل ما الذي ارتكبته.. لقد بدا شديد الغضب!

لكن لماذا؟ ماذا فعلت؟ هل قالت شيئاً..؟

عادت إلى غرفة الجلوس لتنفجر بالبكاء، لقد عرفت بماذا أخطأت.. لقد خدعت نفسها ورأت في وجهه ردة فعله لرؤيتها الليلة، ما كانت تريد هي أن تراه.

لم يكن ما رأته حقيقياً!

والأسوأ.. إنها قالت لنفسها إنها تحبه.

لكنه لم يقل كلمة حب واحدة.. هل فعل؟

حمقاء.. حمقاء! لقد قال لها منذ الأسبوع الأول إنه لن يتزوج.. لقد حملت قلبها على يدها، ووضعت مشاعرها في كلمات.. لا بد أنه

توقع منها أن تتوقع.. تتوقع أكثر مما هو مستعد أن يعطيها، ربما.. ولقد أخافته، فهرب!

فكرت منتحبة بكلمات تشارلز رنغتون: ما من أحد منيع ضد الحب.

أوه.. كم هو مخطىء! مخطىء.. مخطىء! على الأقل لو كان راند لوماكس قادراً على أن يحب، فهو لن يقع في حبها.

كانت الساعة منتصف الليل بالضبط حين جرّت نفسها إلى السرير.. بعد نصف ساعة خرجت منه ثانية.. النوم مستحيل.. لقد قال: سأشرح لك.. حين أستطيع.. متى أستطيع؟ ماذا يعني بهذا؟

جلست دان تبكي مجدداً، تعيد ذاكرتها إلى ما في داخلها، تقلبه رأساً على عقب في جهد كي تفهم.. إنه لا يحبها بل يريدها فقط. هذا أمر ليست مخطئة فيه أبداً..

انقلب بؤسها إلى غضب، فمسحت عينيها بمنديل ورقي ومدت يدها إلى الهاتف. بإمكانه أن يشرح لها الآن.. وعلى الفور!

بعد خمس دقائق، أعادت السماعة إلى مكانها عندما لم تتلق أي رد..

كانت الساعة تقارب الواحدة حين اخترق رنين جرس الباب سكون الشقة، فرفعت رأسها بحدة.. وعرفت دون أدنى شك من الطارق.

مع ذلك، نظرت عبر «العين السحرية» المثبتة على الباب.. وفتحته متراجعة إلى غرفة الجلوس دون أن تقول شيئاً.. لم تكن تعرف ما تقول.. ماذا عاد ليقول لها؟ يبدو مشتتاً، وبحاجة لأن يحلق ذقنه، مشعث الثياب.. وهي تبدو كامرأة على وشك مواجهة المشنقة، كتفان هابطتان، وعينان متورمتان.

أجفل راند لمظهرها:

ـ دانيالا أنا.. أنا آسف.. أنا مدين لك بتفسير.

مرت لحظات صمت طويلة قبل أن تتمكن من الرد.

ـ أجل.

ـ هل لي أن أجلس؟

ـ طبعاً.

وجلست على مقعد، ترهبها طريقة تصرفه الرسمي. كانت تعرف، تعرف ما هو آت.

قال بهدوء: كنت أتجول في السيارة.. كنت بحاجة كي أفكر.. وعدت فرأيت النور لا زال مشتعلاً.. دانيالا.. لقد عدت لأودعك.

بإحساس متخدر، هزت دان رأسها.. لقد عرفت هذا.. لكن الكلمات صدمتها.. حتى أنها لم تشعر بالمرارة.. لم تشعر بشيء.

ـ هل.. ستخبرني.. لماذا؟

ـ لأنني لا أستطيع التعامل مع ما يجري.. وهذا ليس إنصافاً لك.. لنا.

نظرت إليه طويلاً.. وبقسوة.

ـ ليس لدي أدنى فكرة عما تعني.

ـ أعني أن لا فائدة.. لا جدوى.. نحن نسير في طريق لا يوصل إلى أي مكان.

ـ لا جدوى؟ أنا لم أطلب منك أبداً أي شيء راند.

ارتفع رأسها بكبرياء، وأكملت:

ـ نحن ملائمان لبعضنا ولا تستطيع الإنكار، من كل ناحية، فماذا تعني إذن أن لا جدوى؟

أشاح بنظره عنها:

ـ لا أستطيع إكمال الطريق.. دانيالا.

ـ لا أذكر أنني طلبت منك إكمال الطريق.

ـ لا معك ولا مع أي شخص آخر. لن يكون هذا عدلاً.

أغمضت عينيها.. أن تتزوج هذا الرجل، سيكون بالنسبة لها الاكتفاء المتناهي.. العمل إلى جانبه، مساعدته، الاستيقاظ إلى جانبه كل صباح، حبه، رعايته وتلقي الرعاية منه، إنجاب أطفاله..

لم تستطع أن تتكلم.. ولا أن تصدر صوتاً.

تابع:

ـ أنت تحبينني.. عرفت هذا قبل أن تدركيه أنت.. حين رأيتك الليلة في المعرض عرفت بشكل أكيد، وعرفت أن هذا يجب أن ينتهي.. فقد أدركت عمق مشاعرك، لكنني لم أستطع أن أقاوم.. صدقي أو لا تصدقي، أنا ممتن لهوارد لمجيئه فخلال حديثك معه عدت إلى تعقلي.. وأنا لوحدي، أدركت كم كنت سأكون مخطئاً في أن أستغلك هكذا..

صمت قليلاً يأخذ نفساً عميقاً:

ـ لم أشعر من قبل نحو أية امرأة ما أشعره نحوك، وأرجو أن تصدقي هذا.. لقد اكتشفت أنك تعنين الكثير لي.. معك يجب أن يكون كل شيء أو لا شيء.. ويجب أن أجعلك تفهمين هذا.. أترين.. وقتي، حياتي، ليسا لي لأعطيهما.

تمسكت موجة خوف أخرى بقلبها.. ماذا يقول؟

ـ راند! أوه.. راند.. أنت لست.. مريضاً. أليس كذلك؟

أغمض عينيه يفركهما بظهر أصابعه بتعب:

ـ لا.. لا.. لست مريضاً.. أنا فقط.. أعيش مع شيء لا أستطيع أن أغفره لنفسي أبداً.. ولن أتحرر منه ما حييت.

أمام صمتها، أكمل: إنها ميرلن.

ـ ميرلن.. ماذا عنها؟

كانت نظرته مليئة بالعذاب، قال:

ـ أنا كنت سبب الحادثة التي حصلت لها وهي صغيرة، أنا سبب عماها.

استدعت دان كل قدراتها التمثيلية.. لن تسمح له أن يرى الصدمة التي أصابتها لسماع كلماته! إنه يعاني بما يكفي.

ـ لا أصدق هذا.

صاح بها بخشونة: من الأفضل أن تصدقي.

وقف متقدماً إليها وكأنه ينوي انتزاع الحياة منها.. ثم توقف وأدار ظهره إليها:

ـ أنا آسف.. أحتاج إلى شيء أشربه، فهل تحضرين لي شيئاً؟

ـ هناك قهوة في الغلاية الكهربائية، لا زالت ساخنة.

راقبته بصمت يصب لنفسه فنجاناً، وأحست به يعاني ليكمل الشرح:

ـ كنا في العاشرة من عمرنا.. وخلال عطلة المدرسة كنا نركب الخيل معاً.. ليس بعيداً عن المنزل.. كنا معاً فارسين ماهرين.. ووصلنا إلى سياج، قفزت من فوقه لكن جواد ميرلن رفض القفز، فسخرت منها وحثثتها. أنت قابلتها دانيالا، صدقيني حين أقول لك إنها في العاشرة، كان لها شخصية بقدر ما هي عليه اليوم.. وتصدت للتحدي.. دعوتها بالدجاجة الجبانة، وضحكت عليها.. أعادت الجواد إلى الخلف، ثم اتجهت به إلى السياج.. وفي آخر لحظة رفض الجواد أن يقفز مرة أخرى.. ورماها عن ظهره.

ساد صمت طويل، طويل.. بدا لدان أن عليها الانتظار ساعات ليكمل كلامه، وتعرف ما كان سيقول.

ـ فقدت ميرلن الوعي ثلاثة أيام.. لقد صدم رأسها الأرض أولاً.. حين استفاقت، كانت عمياء ولا أمل في الشفاء. والدي رجل غني.. أخذها والداي إلى أفضل الأخصائيين في العالم.. لكن دون جدوى.

وساد الصمت مجدداً.

لم تفكر دان بنفسها بل به فقط:

ـ كانت مجرد حادثة.

ـ ما كان يجب أن تحدث.. أنا من دفعتها إليها.

تابعت، تضع السخرية عمداً في صوتها:

ـ كانت حادثة..! وماذا تقول لي؟ إنك لن تتزوج بسبب هذا؟ أهذا ما عنيته حين قلت إنك لن تتزوج لأن لديك التزامات كثيرة؟ أكنت تعني ميرلن؟

استدار إليها بغضب شرس:

ـ كفي عن هذا! كيف يمكن أن أتوقع منك أن تفهمي؟ أجل.. هذا بالضبط ما أعنيه.. أنا ملتزم بها.. مدين لها.. أريد أن أعتني بها بأفضل ما يمكنني.. أريد أن أقضي أكبر وقت ممكن معها.. إنها تحتاجني.. تحتاجني أكثر من أي شخص آخر.

يا الله! يا الله! إنه مخطىء بهذا.. مخطىء جداً.. لكنها لا تستطيع قول هذا له.. فهو لن يفكر بتصديقها.

في تلك اللحظة بالذات أدركت أن لا جدوى.. لا جدوى.. لقد استخدم الكلمة الصحيحة تماماً.. واستطاعت أن ترى أنه كان على حق.. رأت أنها لن تصل إلى أي مكان معه، وإذا حاولت الإشارة إلى خطأه في تفكيره هذا، فسيرد كلامها إلى دافع شخصي، سبب أناني.. لقد قالت له إنها تحبه.. ويعرف ما كانت تأمل في أعماق قلبها..

لكن عليها أن تجرب ولأجله.

ـ راند.. أنت مخطىء! أتعرف ميرلن ما تفكر به؟ أتعرف الطريقة التي أنت مستعد بها لحرمان نفسك؟

ـ لا تكوني سخيفة! ألا تظنين أن حياتها قاسية بما يكفي؟ أتظنين أنني أريدها أن تشعر أنها حجر عثرة في طريقي؟ على أي حال، أنا لا أحرم نفسي من شيء.. وهكذا أريد للأمور أن تستمر.

وقفت دان أمامه تنظر مباشرة إلى عينيه:

ـ حقاً؟ أنت لم تقل أبداً ما هي مشاعرك نحوي راند.. أوه.. لقد ألمحت أنك تحترمني وقلت إنك لم تشعر نحو أحد ما تشعر به نحوي.. فماذا يعني هذا بالضبط؟ ألن تكون صادقاً صريحاً معي؟ هل تحبني؟

لم يرف له جفن، وتسمرت عيناه في عينيها، زرقاوان، صافيتان، لا تخفيان شيئاً.

ـ لا دانيالا.. الأمر لا يصل إلى هذا الحد.. أنا لا أحبك.

تلقت الأمر بشجاعة.. وهزت رأسها ببطء تتقبل ما سمعت،

وارتفعت كتفاها قليلاً:

ـ لكنني أحبك.. فدعني أحاول مساعدتك! دعني أحاول لأجل المرأة التي قد تحبها يوماً. لا أحد منيع ضد الحب راند ولا حتى أنت، ولو أنك قد لا ترحب بهذا.. إذن أصغ إلي وصدق ما أقوله لك. إذا كان لفقدان بصر ميرلن علاقة بما قلته لي الليلة، فستصاب بالهلع لو عرفت. إنها امرأة قادرة مستقلة.. بالتأكيد تحتاج لك في حياتها، فأنت أخوها، توأمها.. لكنها لا تحتاج إليك إلى هذا الحد.. إلى حد قضائك كل عطلة أسبوع معها! ألا ترى أن تفكيرك محدود؟ سمعت بأذناي احتجاجها لأنك تفرض عليها صحبتك كثيراً. أوه، كانت تضحك لأنها لا تريد جرح مشاعرك.. لكنها كانت تعني ما تقول.. وأعرف هذا..

ـ تعرفين أنها عنت ما تقول؟ هل هذا واقع؟ يبدو أنك عرفت أختي أكثر مما أعرفها!

ـ ربما عرفتها.. فأنا أستطيع رؤية أشياء لا..

ـ أنت ترين ما تريدين أن تريه!

ـ لا! أنت لا تساعدها بشيء راند، صدقني.. كل ما تفعله هو محاولة إرضاء مشاعر الذنب لديك، إحساس ما كان يجب أن يكون موجوداً في الأساس! وماذا عنها؟ هناك أشياء في الحياة من المحتمل جداً أن لا تحصل عليها.. الأولاد مثلاً، وأنت تحرم نفسك من هذا كذلك.. راند لا يمكنك أخذ مكانها مهما أحببت أن تفعل! ألا تظن أنها ستسعد برؤيتك مستقراً، تعيش بشكل طبيعي مع عائلة..

وهي تقول هذا، أدركت أنها دمّرت العمل الجيد الذي تحاوله.. فقد ارتفع حاجباه وغطت وجهه نظرة سخرية صافية.

هز رأسه وكأنه يشعر بالأسى عليها، فصاحت محتجة:

ـ لا تنظر إليّ هكذا! أعرف ما تفكر به.. أنت تظنني أنانية في هذا.

ـ أتنكرين هذا؟

ـ أجل.. لا.. حسناً ربما، قليلاً. فأنا أحبك، ولن أعتذر لهذا..

لكن هذا لا يخالف المنطق الذي أحاول إقناعك به.

بدا أنه توقف عن الإصغاء.. وابتلع ما تبقى من قهوته، فقد انتهى من قول ما جاء ليقول:

ـ جئت أودعك. أنا آسف دانيالا.. صدقيني أنا آسف.

في لحظات كان قد ذهب.. وقفزت واقفة:

ـ راند! انتظر.. أرجوك!

وأقفل الباب الأمامي.

وقفت مسمرة مكانها.. كانت في ثوب نومها.. ثم إن الركض وراءه لن يجديها نفعاً.. لقد ذهب وهذه المرة لن يعود.

وقفت دون حراك، مضطربة تماماً لكل ما حدث.. بدت الأمسية كلها غير حقيقية.. كانت في حالة صدمة. منذ ساعات قصيرة فقط كانت أسعد مما كانت في حياتها كلها.. ثم فجأة..!

لقد خرج راندولف لوماكس من حياتها بشكل درامي، كما دخلها.. بسرعة.. وصدمة.. هكذا استولى على قلبها في مدى أسابيع.. وهكذا تركها، ترك القلب عينه محطماً.

* * *

٦ ـ من يساعد قلباً جريحاً؟

كان الوقت العاشرة إلا عشر دقائق من صباح الاثنين، ولم تتأخر دان يوماً عن عملها إلى مثل هذا الوقت منذ عملت في المعرض.

ـ دانيالا.. ماذا بك بحق السماء؟ هل أنت مريضة؟

كان وداع راند لها مساء الجمعة نهائياً.. وجعلها هذا تحس بالصدمة، بالتعب، بالعجز، وبأنها تحبه.

لكنه لم يكن يحبها.. إذن فالأمر ينتهي هنا. يجب أن تواجه الأمور.. وظلت تردد لنفسها طوال عطلة الأسبوع أن عليها أن تتكيف مع هذا.. وأنها بالتأكيد مع الوقت ستنساه.

لكن، آه.. كان تأثيره كبيراً في حياتها خلال هذه الأسابيع القليلة! ماذا حدث للفتاة التي لم تكن تكترث للرجال؟ الفتاة التي كانت سعيدة تماماً بحياتها؟ لقد ظنت نفسها فتاة عمل، فتاة قد تتزوج أو لا تتزوج في المستقبل البعيد. إنها لا تحتاج إلى الرجال، لا تحتاج إلى ذلك الإحساس كما قالت لراند يوماً.

يا لها من سخرية! لقد قالت له هذا بتصميم، تصدق أنها صادقة.. ولقد كانت صادقة. مع ذلك.. حتى وهي تقول الكلمات، كانت تحبه. فقد أدركت الآن أنها وقعت في غرامه منذ أول مرة تناولا الغداء فيها معاً.. وربما منذ أول نظرة، يوم كان فظاً معها في مكتبه.

لو أن هناك شخصاً تستطيع الكلام معه! نظرت إلى سكرتيرتها.. تتمنى لو تتحدث معها.. لكنها لا تستطيع.. لن تستطيع بحث أمر

شخصي مع موظفة أخرى.. لا تستطيع مناقشة حياته الخاصة.. شقيقته وما حدث وهما طفلين.

لن تستطيع بحث الأمور مع ميرلن.. مع أن أول ما فكرت به هو أن تتصل بها.. لقد رغبت كثيراً أن تفعل هذا.. أن تقول لميرلن إن راند قد أنهى علاقته معها.. لكن كيف بحق السماء ستفعل؟ هذا سيجرح ميرلن عميقاً وبشدة. ولن يغير تفكير راند.. لن يجعله يحبها.. لقد انتهى كل شيء.. انتهى! وما من شيء سيغير هذا الواقع.

خلعت سترتها: لا.. أنا بخير.

كان طقس تموز مزيجاً لا يمكن التنبؤ به: بعض أيامه مليئة بالشمس، يتبعها المطر، ثم المزيد من الشمس. هكذا كان الأكثر تعقلاً ارتداء فستان خفيف وحمل سترة ومظلة.

ـ لم أنم سوى لبضع ساعات ليلة أمس.

ـ تبدين متعبة.. ما الذي حدث؟

هزت دانيالا رأسها، فأكملت روث:

ـ للأمر علاقة براند لوماكس.. أليس كذلك؟

هزت دان كتفيها ورأسها، تتجنب النظر إلى روث.

ـ لقد انتهى الأمر روث.. لقد انتهى ما بيننا مساء الجمعة.

ـ انتهى؟ يوم الجمعة؟ لكنني ظننت.. كنت واثقة..

لم تستطع دان المقاومة: ماذا؟ ماذا ظننت؟

تحركت روث بارتباك:

ـ حسناً.. أنا.. طريقة لقائكما في المؤتمر الصحفي.. وأمام الجميع.. طريقة نظره إليك وأنت إليه. دان.. أعرف أنك واقعة في حبه رأساً على عقب.. وعرفت هذا منذ مدة.. وكان يمكن أن أقسم أنه مجنون بحبك.

ـ إذن فهذا يدل على أن المظاهر تخدع أحياناً.

بكل لباقة، تركت روث الأمر هكذا.. وبدأت تطبع، ثم قالت

تغير الموضوع:

ـ على فكرة.. لقد خرج السيد رنغتون لساعتين.. إنه في المدرسة ليقابل المدير.

ارتاحت دان للخبر، كانت المدرسة قد أقفلت أبوابها للعطلة لكن الموظفين يعملون.

ربما لو أغرقت نفسها في عملها، قد تبدو طبيعية مع عودة السيد رنغتون.. وستعمل إلى وقت متأخر الليلة لتعوض عن ساعة التأخير الصباحي. وثم، فجأة، بدا لها أن لا شيء يستدعي عودتها إلى المنزل.

مع ذلك، فقد طال أمد المساء.. ولم تصل إلى منزلها حتى الثامنة.. لكن الساعات التي أمامها بدت كأنها أيام.. لم يكن في المنزل ما يلهيها.. لا شيء يوقف تفكيرها عن الدوران في حلقات.. وما جدوى هذا؟ مهما حاولت التحليل، مهما غضبت، يبقى واقع واحد لا يمكن استبداله: لم يكن يريدها بشدة.. إنه لا يحبها.

فيما بعد خلال الأسبوع، التقت بهوارد على سلم المبنى.. على الفور بدأ يعتذر لما حصل يوم الجمعة الأسبق، وصاحت دان به:

ـ لأجل السماء هوارد، دعك من هذا! لقد اعتذرت يومها. قد يظن أي أحد..

وعضت على كلماتها لا تعرف كيف تنهي الجملة.

وصلا إلى الممر الموصل إلى بابها ووقفا أمامه:

ـ هل لي بالدخول لحظة؟

ـ لا.

واستدارت لكنه منعها بذراعه:

ـ اسمعي دان.. لست أدري سبب ترك صديقك لك هكذا، ولا أنكر أنني أحس بالغيرة كالجحيم.. أكره راند لوماكس وكرهته منذ اللحظة الأولى.. لديه كل شيء لا أملكه. الحنكة، المال، المظهر الجميل و.. أنت.. أنت تحبينه.. لكنه خذلك. ألم يفعل؟ رأيت كيف بدوت

صباح الاثنين.. كان يوم عطلة لي، ومررت بك في الاتجاه المضاد وأنت تقتربين من نفق المترو.. لا بد أنك كنت متأخرة على عملك.. بدوت شاحبة كالأموات ولا زلت هكذا.

هبطت كتفا دان.. هل تبدو حقاً بهذا السوء؟ شاحبة الوجه؟ أحست بوخز الدموع في مقلتيها ونظرت إلى الباب:

ـ حسناً.. أهلاً بك لفنجان قهوة.. إذا أحببت.

قالت وهي تضع كوبين ساخنين من القهوة على طاولة صغيرة في غرفة الجلوس:

ـ لقد انتهى كل شيء بيني وبين راند.. ولا رغبة لي في الكلام عن الموضوع.

ـ قد يساعدك الكلام.

ربما.. لكنه مولع بها فلن يكون محايداً.

ـ سأقول لك كيف ستساعدني.. لكنني بهذا سأستغلك.. ويجب أن أكون صادقة معك.

ابتسم:

ـ هذا واجب الأصدقاء.. قد يحب الناس أن يستغلهم أحد من وقت لآخر.. وهذا يؤكد لهم أنهم أصدقاء فعلاً.. فماذا أستطيع أن أفعله لك، سيدتي الجميلة؟

ابتسمت:

ـ بإمكانك دعوتي إلى الخروج.

ـ حاضر! أعطني ساعة..

ـ لا.. لا أعني الليلة.

وضحكت:

ـ أنت رائع.. أتدري هذا؟

ـ أجل.. أجل.. أنا الرائع المعتمد عليه، الجار.. متى أستطيع دعوتك؟

- في عطلة الأسبوع.

إنها بالنسبة لها أسوأ الأوقات.. ستحتاج إلى اللهو كي لا تفكر بشيء.

- لدي التزامات يوم الأحد.. لكن لا شيء يوم السبت.. فهل يفيد هذا؟ أعني هل يساعد؟

- كثيراً.

- وأين تريدين الذهاب؟

راند ما كان سيسألها، كان سيفرض خططه.

- إلى أي مكان.. أعني.. فاجئني.

وفاجأها هوارد، اتصل بها في المكتب يوم الجمعة يقول لها إنهما سيخرجان معاً طوال يوم السبت، وإن عليها تحضير طعام نزهة.

قالت: سأشتري طعاماً.

لكنها لم تكن تتطلع شوقاً للنزهة، وأكمل هوارد يبدور راضياً من نفسه:

- وفي المساء سنذهب لحضور الباليه.. لقد حصلت على أفضل المقاعد.

- وكيف تمكنت من هذا في مدة قصيرة؟

كان في رده لمحة ابتسامة:

- فرصة حظ.. اشتريتها من أحد زملائي. حجزها منذ أسابيع ولم يعد يستطيع الذهاب. إنها معي الآن، في المقاعد الأمامية.. أوكي!

- أوكي!

هكذا أفضل.. لقد مضى زمن طويل منذ ذهبت لحضور الباليه وستتمتع بهذا، ولاحظت فضول روث فقالت لها:

- إنه هوارد.. سنخرج في نزهة طوال النهار غداً.. وفي المساء سنذهب إلى الباليه. أترين روث، هناك الكثير من السمك في البحر؟

ولم تقل روث شيئاً.

بدأ يوم السبت جيداً، خاصة الطقس. خرجا بالسيارة إلى الريف وسلة الطعام في الصندوق، يفتشان عن بقعة مناسبة.. لكن انتهى بهما الأمر إلى تناول طعامهما في السيارة.. فقد تجمعت الغيوم وفتحت السماء أبوابها.. وإذا كان هناك أمر مضحك في المشهد كله فهي لم تره، أو لم تستطع. أما الرفيق فقد كان منزعجاً، يتابع التذمر من الطقس طوال فترة تناولهما الطعام.

سرعان ما فقدا مواضيع الحديث.. وسرها أنه لم يتمكن من عرض صحبته عليها يوم الأحد، وابتهجت بكونها داخل المسرح معه هذه الليلة.. في الأساس، لا شيء مشترك بينهما.. حتى أنه لا يملك روحاً مرحة.

عادا إلى البيت حوالى الرابعة وافترقا إلى شقتيهما، بعد أن اتفقا على الخروج إلى الباليه حوالى السادسة والنصف.. استحمت دان وغيرت فستانها وتبرجت بعناية، ليس لأجل هوارد بل لأجلها. فهي تعتقد أن هذا سيفيد معنوياتها.. فقد سئمت صورتها الشاحبة، سئمت الوجه الأبيض المنمش.

هناك عطلة قادمة.. أول أسبوعين من شهر آب على وجه التحديد، ولا زال الموعد يبعد أسبوعين. ولقد خططت للذهاب إلى بلدتها كيندال.. ضاحية البحيرات منطقة جميلة جداً في منتصف الصيف، وأحست بوخز في قلبها وهي تفكر: إنها جميلة طوال العام.

مثل الصباح، بدأ المساء جيداً.. انجلى المطر واختبرت دان تشعريرة إثارة حين بدأت الأوركسترا «بدوزنة» آلاتها.

ثم رأت راند.

كان في إحدى المقصورات إلى يمين المسرح. ولم يكن وحده، كانا اثنين.. راند مع امرأة مألوفة لها.. ولم تضطر إلى التذكر كثيراً لتتعرف على قيني لوردلي ابنة أخ السير سايمون لوردلي، المرأة التي قالت إنها تعيش على بعد عشر دقائق من حيث يعيش هو في لندن.

كل ما عرفت أنها تريد أن تقف وتغادر المسرح.. الآن.. فوراً!

أحست بالغثيان وخفقان القلب والبلاهة.. يا الله! لم يطل به الوقت لينسى؟ لم يطل به الوقت ليجد امرأة أخرى يسلي بها نفسه.. لقد جعلت ڤيني لوردلي اهتمامها به واضحاً جداً.. جداً.

كانت دان تنظر إلى البرنامج في حجرها دون أن ترى شيئاً.. ولم ترفع نظرها مرة أخرى خاصة نحو المقصورات..

لم تكد ترى الباليه.. لم تستطع رؤية شيء سوى ما كان يملأ رأسها وخيالها.. صور لراند وڤيني متعانقين..

ـ ، . شراباً دان؟

ـ ماذا؟

إنها الاستراحة.. والستارة مسدلة:

ـ أوه! أنا.. لا أنا مرتاحة جداً هنا.. لن أتناول شيئاً.. شكراً لك.

بدت الدهشة عليه:

ـ في الواقع.. أرغب أن أشرب شيئاً.

دون إرادتها، اتجهت عيناها مباشرة إلى المقصورة... كانت فارغة.. وهذا يعني أن راند في المقصف، وستبدو بلهاء تماماً لو رأته.. ستظهر غيرتها ما من شك في هذا.. والأسوأ أنها قد تنفجر باكية.

قالت بإشراقة: حسناً جداً.. اذهب أنت.

بدا السخط على هوارد.

ـ لن أذهب من دونك! سأكتفي بالآيس كريم وسأعود في لحظة، أترغبين في واحد؟

حين انتهى العرض أخيراً، تركا المسرح عبر مخرج جانبي.. ولراحتها لم يصادف طريقهما طريق راند وڤيني.. هل شاهدها راند أم لا، أمر لم تستطع التأكد منه.. وعلى الأرجح لا، فڤيني كانت تستأثر بكل اهتمامه.

نامت دان جيداً تلك الليلة.. لكن السبب أنها جلست مع وصولها إلى الشقة تبكي إلى أن أرهقت نفسها ساعتين كاملتين.

قالت لصورتها المنعكسة في المرآة صباح اليوم التالي: هذا لن يفيدك.. كان رأسها يؤلمها، وعيناها متورمتين.. تركت المياه تجري باردة وبللت بعض القطن فيها، ووضعت ضمادة باردة على عينيها.. يجب أن تستجمعي نفسك.. واجهي الأمور.. ذلك الرجل أعلى من مستواك.. مختلف جداً عنك.. كان يجب أن تدركي هذا من قبل.. إنه قاسٍ.. الآن فقط بدأت تدرك أن راند يتمتع بوضعه كعازب.. أوه.. لقد عنى كل شيء عن التزاماته نحو ميرلن، لكنه في الواقع يحصل على الأفضل من كل شيء.. أليس كذلك؟ أوه.. أجل.. إذا كانت هناك امرأة غبية بما يكفي لتقع في حبه وفرضت عليه المطالب فلديه طريقاً للخلاص.. أليس هذا صحيحاً؟

إنه أناني لا يفكر سوى بنفسه. لم تدرك هذا من قبل، كانت عمياء جداً.

اشترت صحف يوم الأحد المعروفة بشائعاتها، وجلست تقرأ قصة وراء قصة. تحاول معرفة كم من الحقيقة في كل منها.. الإحساس بالوحدة هكذا أمر جديد عليها.. وهي طفلة، كانت معتادة على الوحدة فهي الولد الوحيد لأبويها.. الوحدة؟ هناك فرق كبير بين أن تكون لوحدك وبين أن تشعر بالوحدة. وهذا ما تشعر به الآن.

عند الظهر، اتصلت بها أمها.. ولم تتطوع دان لقول شيء. وأجبرت نفسها كي تبدو مرحة مشرقة كطبيعتها.. لكن حين سألت انطونيا عن راند، أخفت دان الحقيقة. كانت مضطرة وإلا انهمرت عليها أسئلة لا تستطيع الرد عليها.

ـ أوه.. إنه بخير أمي.. لم أره منذ أكثر من أسبوع.. لكن آخر مرة رأيته فيها كان بخير تماماً.

ـ هل هو مسافر؟

ـ لا بل في لندن.. لمحته ليلة أمس.. كان يحضر عرض الباليه مع فيني لوردلي.

ـ فيني لوردلي؟ وأنت مع من كنت؟

ـ مع هوارد.

ـ لكن..

ردت بهدوء: لكن ماذا؟

ـ لكن، كان لدي انطباع أن الأمور جدية بينكما، أعني.. في كل مرة كنت أكلمك فيها كنت تقولين إنك ترينه كثيراً.

ـ هذا صحيح.. لكنه لا يعني أننا لا نستطيع الخروج سوى مع بعضنا.. أليس كذلك؟

ـ حسناً.. هذا يتوقف..

وصمتت انطونيا.. فأغمضت دان عينيها.. واستطاعت أن تسمع كيف تدور الأفكار في رأس أمها.. كانت ستصل إلى قرار بأن ابنتها وراند لم يكونا حبيبين.. حسناً، هذا صحيح. وأكملت الأم:

ـ لا.. هذا صحيح، مع ذلك يجب أن أقول إنني مندهشة.. كان لدي شعور أن شيئاً قد يحدث.. ولن أتطفل دان.. لكن أرجوك تذكري أنك لو احتجت للكلام مع أحد.. بإمكانك الكلام معي، وتعرفين هذا.

عضت دان على شفتها.. إنها ترتجف، ترتجف! لكن من غير المرضي أن تخوض في هذه القصة على الهاتف.. ثم إن أمها ستكون قلقة جداً لو عرفت أن ابنتها محطمة القلب.

ـ أنت تستنتجين الكثير من الأمر أمي.. والآن ماذا عنك؟ وكيف حال دادي؟ ماذا فعلتما هذا الأسبوع؟

ما إن وضعت السماعة مكانها حتى اتصلت ميرلن. هذا كثير.. وأجفلت دان.. حتى كادت تبوح لها بما حدث:

ـ ميرلن..! لم أتوقع.. أعني، هذه مفاجأة.. أنا.. لم أتوقع أن تتصلي بي في وقت قريب.

لم تعلق ميرلن على هذا.. بل اندفعت تقول بصوت ملحاح: ما الأمر دان؟ ما الذي حدث بينكما؟

ـ حدث؟ لا أعرف ما تعنين.

ساد الصمت.

عضت دان على خديها من الداخل في جهد لمقابلة الصمت بالصمت.. لا تريد أن تتطوع بأي شيء.. أي شيء أبداً. لكن ميرلن غلبتها وأجبرتها على الكلام.

ـ ميرلن، لا زلت هنا؟

ـ أنا هنا.. وسأسألك مرة أخرى. ما الذي حدث بينك وبين راند؟ لقد اتصلت به لتوي.. فعلت هذا لأنني عرفت أن هناك شيئاً خاطئاً. أترين؟ لم يتصل بي.. ولم أسمع منه شيئاً طوال الأسبوع. وهذا أمر مستحيل.. في الواقع، أنا لم أتحدث معه منذ يوم سافر إلى نيويورك.. في البداية افترضت أنه مشغول بك.. وهذا كان افتراضاً أبهجني.. لكن صمته استمر لوقت طويل، فقلقت.. اتصلت به وذكر لي في «ها.. ها» عابرة وبشكل عفوي، أنكما انفصلتما!

ـ هذا صحيح.. لا شيء يدوم إلى الأبد.. ميرلن.

قوبل كلامها بانفجار.. في كلمات لم تتوقع دان سماعها من الفتاة:

ـ دانيالا.. لا تهينيني في ذكائي! عرفت أنني لن أصل إلى نتيجة في سؤالي له.. لكنني اعتقدت أنني سأحصل على الرد منك.. لقد كنت معكما منذ أسبوعين فقط، أتذكرين؟ قد أكون عمياء.. لكنني لست حمقاء ولا غبية ولا أحتاج إلى نظر ثاقب لأرى أنكما تحبان بعضكما.. فماذا حصل؟

ماذا بإمكان دان أن تقول؟ بسببك؟

ـ صدقاً ميرلن.. أنت سيئة مثل أمي! لقد كلمتها لتوي، وهي تبحث عن سرٍّ لا وجود له.. راند وأنا.. لم ننجح معاً.. هذا كل شيء.

تابعت دون استعجال ودون السماح بالمقاطعة:

ـ كل شيء أصبح هادئاً.. ما من أحد منا أراد أن يتحول ما بيننا إلى شيء جدي.. كلانا يريد مقابلة أشخاص آخرين.. في الواقع، رأيته مع امرأة جميلة ليلة أمس وكنت أنا مع رجل أخرج معه من وقت لآخر.

أمام صيحة ميرلن: أوه! تنهدت دان ارتياحاً، لقد أقنعتها.

أو هذا ما ظنته، فقد سلبتها كلمات ميرلن التالية ذلك الأمل.

ـ بكلمة أخرى، يجب أن أهتم بشؤوني الخاصة.

ـ لا ميرلن.. لا أعني هذا.. ليس الأمر هكذا أبداً.

ـ لا أصدقك.

كان الرد جريئاً وصحيحاً.

ـ كنت سأطلب منك المجيء لرؤيتي.. لكنك لن تفعلي.. أليس كذلك؟

ـ بالطبع سأفعل في وقت ما..

ـ أعني اليوم.

ـ اليوم! أوه.. لا أستطيع.. لدي الكثير من العمل.

ليسامحني الله! وأغمضت عينيها تكره كذبها.. ولكن فكرة زيارة ميرلن كانت بعيدة الاحتمال.. ليس الآن.. ليس قبل أن تصبح واثقة من أنها لن تفضح شيئاً، يا له من موقف مريع تجد نفسها فيه! إنها تكره الكذب خاصة على ميرلن.. لكن كيف تقول لها الحقيقة؟

ـ اسمعي ميرلن.. يجب أن أذهب الآن.. طنجرة الضغط على النار وأظنها على وشك أن تنفجر.

تنهدت ميرلن:

ـ سأقول لك شيئاً دان.. أنت كاذبة فاشلة!

تابعت ميرلن بعد صمت طويل من دان.

ـ عديني فقط أمراً واحداً.. إذا احتجت إلى الكلام.. ستأتين إليّ.. أستطيع مساعدتك.

حين علقت دانيالا السماعة، بكت مجدداً.. لقد شكرت ميرلن على

جهدها وعرضها، مستخدمة كل إرادتها لتبقي صوتها مرحاً.. تساعدها؟ لا.. أوه.. لا.. وتمتمت لنفسها: يا إلهي العزيز.. أنت الوحيد القادر على مساعدتي!

* * *

www.elromancia.com

٧ ـ تبكي وتضحك

أمسكت دانيالا بالمزهرية المخصصة لزهرة واحدة ورمتها في سلة المهملات. كان يجب أن تفعل هذا من قبل.. لقد مر أسبوع آخر واليوم هو مساء الجمعة، أسبوعان منذ انفصال راند عنها، منذ اليوم الذي رمت فيه الوردة الحمراء في سلة المهملات.. أوه.. يا له من نذير شؤم موتها ذلك اليوم! كل نهار، وكل مساء، كانت تنظر إلى المزهرية الفارغة.. كان يجب أن تتخلص منها منذ أول يوم.

الآن حطمتها بعنف شديد! جلست إلى الطاولة، رأسها بين يديها.. هذه المرة تدفقت الدموع بصمت على خديها، تتسلل بين أصابعها.. لم يساعدها مرور الوقت أبداً.. إنها لم تعد نفسها.. لن تعود تلك الفتاة التي كانت.. فهناك الكثير من المشاعر محبوسة في داخلها.. وتحس أنها تكاد تنفجر.

أطبق صمت الشقة عليها.. مرت ساعة وهي لا تزال جالسة تبكي فوق طاولة المطبخ.. أخيراً انتشلت نفسها وأعدت فنجان شاي.. وهزت نفسها. سيكون يوم الجمعة القادم آخر يوم عمل لها.. بعده، ستكون في إجازة لأسبوعين.. ويا له من وقت بهيج ستقضيه دون عمل يلهيها! ماذا ستفعل؟ لا يروق لها الذهاب إلى المنزل في كيندال، أو أنه لم يعد يروق لها.

سوف تحجز لقضاء عطلة في مكان ما.. غداً يوم السبت، ولسوف تشغل نفسها في زيارة مكاتب السفر لحجز مكان لعطلة ما، ستفعل هذا

حتماً. ستقضي إجازة في الشمس.. أي مكان سيكون مناسباً، لمجرد أن.. تبتعد.

لقد مرت بسلسلة من المشاعر.. غضب، كراهية، مرارة.. وفكرت براند خلال كل منها.. لا فائدة.. إنها تحبه بصراحة وبساطة. لم تشتق في حياتها لشخص كما تشتاق إليه.. كلما نظرت في غرفة الجلوس، كانت تراه هناك.. كان داخل تفكيرها، داخل قلبها، ولا تستطيع انتزاعه.. ووجوده هناك مؤلم.. مؤلم.

اليوم يوم صعب. إنها مضطرة للكلام مع سكرتيرة راند حول إعادة اللوحات. سيكون الأسبوع القادم آخر أسبوع من المعرض الذي كان ناجحاً تماماً.. ويجب إعادة اللوحات إلى راند بعد ظهر الجمعة.. ستعود كلها إلى معرض «ماي فير» من حيث أتت.. ولماذا هذا في وقت موطنها الأصلي في باكنغهام شاير؟.. إنها لا تدري، لكنها تتبع تعليمات سكرتيرته.. وسكرتيرته بالتالي تتبع تعليماته.

تطوعت باولين دروكر، سكرتيرة راند، ببضع معلومات صغيرة اليوم.. إنها تعمل له منذ سنوات، ودان تعرف هذا. لذا كانت تعرف أن لا بأس من ذكر منزله في باكنغهام شاير. لا بد أن باولين تعرف بأمره وتعرف أن رئيسها يستبقي فيه مجموعته الخاصة.

سألت دان: ألن يكون من المتعقل أكثر إرسالها مباشرة إلى منزله؟

ـ أوه.. السيد لوماكس لا يحتفظ بهذه مع بقية المجموعة. إنها تبقى هنا ملفوفة ومخبأة.

احتارت دان: هذا أمر مؤسف.

ـ أوليس كذلك؟ على أي حال.. هكذا هو الأمر ولا شك عندي أن له عذره.. دانيالا، خط الهاتف الثاني يرن وأتوقع أن يكون هو.. إنه في أمستردام هذا الأسبوع.. مع ذلك فهو يشغلني دائماً! باي!

لم يكن هناك فرصة لمعرفة المزيد.. لكن هل يهم هذا؟ ماذا يهم إذا كان في امستردام أو في أي بقعة أخرى من العالم؟

مع ذلك فهناك فرق.. مع كل بلاهتها، كانت تقفز مجفلة كل مرة يرن فيها جرس بابها.. كل مرة يرن فيه جرس هاتفها.. ومع كل بلاهتها، كانت تعيش على أمل أن يعود إليها. وهمست لنفسها، تنظر إلى إطار النافذة الفارغ: «هذا ما يفعله الحب بك.. يجعلك تتصرفين بغير منطق». جرّت نفسها لتقف وبدأت تحضر الغداء.. إنها واحدة ممن لا يتحملون فقدان الوزن. وقالت لنفسها: «بعد أن تأكلي شيئاً، سوف تخرجين إلى السينما أو شيء ما، لا يهم.. فقط اخرجي من هذه الشقة».

وهذا ما فعلته.. أمضت أمسية الجمعة في السينما تشاهد فيلماً أجنبياً، بعنوان لم تزعج نفسها بقراءته.. ثم ذهبت إلى وكالة السفر وقيل لها إن من الممكن وجود مشكلة.

ـ أول أسبوعين من آب هما قمة العطلات.

نظرت دان إلى الشاب وراء منصة البيع، وهزت رأسها غير مصدقة:

ـ ماذا بك؟ ألا تريد أن تتعامل معي؟

فغر فمه.

ندمت فوراً.. وهزت نفسها:

ـ أنا آسفة! اسمع.. لا يوجد سواي.. مجرد أسبوعين لشخص واحد.. بالتأكيد يمكنك إيجاد شيء لي؟ لا يهمني أين طالما يوجد شمس.. وإذا لم تستطع وضعي في فندق فلا بد من وجود شقة في مكان ما.. أعني أن الناس يلغون بعض الحجوزات في آخر لحظة.. ألا يفعلون هذا؟ وأنا قد أفضل شقة.

كتم الشاب ابتسامة:

ـ سأحاول جهدي.. أنا واثق أنني سأجد شيئاً لشخص واحد.

وقفت دانيالا بطولها أمامه وابتسمت له، ثم أعطته رقم هاتفها وحملت نفسها إلى «الوست اند» حيث أكملت النهار تتسوق.. مع ذلك، وهي تفعل هذا، نسيت أن العطلة لم تتأكد بعد وبقيت في الوست اند حتى الساعة السادسة مساء. كان من المفيد لمعنوياتها أنها أمضت وقتاً ممتعاً

تتسوق.. أخذت مشترياتها إلى غرفة نومها، ترتديها كل بدوره لتجربها.. بعد ساعة، خرجت مرة أخرى مصممة أن لا تجلس لوحدها وتفكر.. وخطرت ببالها فكرة زيارة هوارد، لكنها صرفت النظر عنها.. من الأفضل لها أن تبقى لوحدها، فليس له القدرة على أن يلهيها.

أيقظها رنين الهاتف في الثامنة من صباح اليوم التالي.. وفكرت من هو قليل المراعاة لشعور الناس الذي يتصل في الثامنة من صباح يوم أحد. بالتأكيد ليس واحداً من أبويها فهما يعرفان جيداً أنها تنام إلى وقت متأخر كلما سنحت لها الفرصة.

كان المتصل ميرلن.

دفعت دان شعرها عن وجهها بذعر: ميرلن! ما الخطب؟

ـ لا شيء.. وكل شيء.. أنا قلقة دانيالا.. أريد أن أكلمك.. يجب أن أكلمك.. أنا آسفة لاتصالي باكراً لكنني حاولت الاتصال ليلة الجمعة، ثم طوال يوم الأمس، وليلاً.. وبدأت أظن أنك مسافرة.

هذه المرة جاءت الكذبة بسهولة أكثر:

ـ كنت أتمتع بوقتي مؤخراً.. أخبريني.. ماذا جرى؟

ـ إنه راند.. إنه..

خفق قلب دان: راند؟

ـ إنه في امستردام. واتصل بي من هناك مساء الجمعة.. إنه في رحلة شراء.

استرخت دان وقد غمرها الارتياح.

ـ إذن هو بخير؟

ـ لا.. ليس بخير.. هذه هي المسألة.. دانيالا، يجب أن أكلمك.. لكن ليس على الهاتف.. أرجوك أيمكن أن تأتي لتريني اليوم؟ يمكنك الوصول إلى هنا في ساعتين.. خذي القطار من پادنغتون ثم اركبي سيارة أجرة من المحطة إلى هنا.

لم تقل دان شيئاً.. وتابعت ميرلن:

ـ دانيالا . . ؟ قولي شيئاً! إذا كان هذا سيسبب لك المتاعب، سأجيء أنا إليك . . على كلا الحالين، لا فارق عندي.

ـ لكن . . ما الذي تريدين أن تتكلمي عنه بالضبط؟ ما الذي يقلقك ميرلن؟ ما الذي قاله راند حين اتصل بك؟

ـ دانيالا أرجوك!

ارتفع صوت ميرلن وكان فيه غصة:

ـ لا أستطيع مناقشة هذا على الهاتف . . أرجوك دعيني آتي لأتكلم معك!

ما الخيار أمام دان؟

ـ لا . . سآتي أنا طبعاً . . أعطني العنوان.

ـ أوه . . شكراً لله! لن تجدي صعوبة في إيجادي، قولي لسائق التاكسي أن يوصلك إلى دار العميان في «فورست هيل».

صعدت دان إلى التاكسي خارج محطة القطارات وقالت للسائق:

ـ دار العميان في فورست هيل.

واسترخت في المقعد الخلفي بينما السائق يشق طريقه عبر البلدة. إنها لم ترَ شيلتن هام من قبل، وهي مكان جميل.

ماذا تريد ميرلن؟ ما خطب راند؟

مع ترك السيارة للبلدة خلفها، صدم جمال كونسولد دانيالا ولو بشكل مختلف عن جمال موطنها لايك ديستركت.

كانت تحس بذعر داخلي، وتفصد العرق على جانب صدغها فأبعدت شعرها بنفاد صبر . . إنها تتوق لأشعة الشمس، والآن مع وجودها أصبح الطقس حاراً جداً . .

ـ هل تريدين المدخل الرئيسي؟

كانت السيارة في الطريق الداخلية المستديرة، عند نهايتها ما يشبه القصر . .

ـ أعتقد هذا . . لم أحضر إلى هنا من قبل . . في الواقع أريد أن أزور

صديقة لي في أحد الأجنحة . . جناح لوماكس.

ـ آه . . ذلك هو القسم الجديد . . بني منذ . . ماذا؟ أربعة عشر، أو خمسة عشر سنة . . المدخل إليه من الجهة الخلفية، ويتصل من الداخل بالقسم الرئيسي للمبنى.

ـ إنه مكان رائع . . أليس كذلك؟ أراهن أنه كان هكذا وهو في أوج عزّه.

ـ ولا يزال كذلك عزيزتي، انتظري لتريه من الداخل.

أوصل دانيالا إلى الباب الذي يحمل لوحة نحاسية.

ـ سأقرع لك الجرس الذي تريدين، وستسمعين صوت صديقتك . . إنه النظام، يجب أن يكون هناك ترتيب سلامة هذه الأيام. خاصة مع وجود العميان هنا.

دفعت دان له وضغطت على الزر الذي يحمل اسم ميرلن، وانتظرت.

ـ دانيالا؟

ـ أجل . . هذه أنا ميرلن.

سمعت تكتكة وانفتح الباب الأمامي.

ـ ادخلي . . أنا في الطابق الأول . . اصعدي السلم إلى يمينك. هناك أربعة عشر درجة . . أوه . . ماذا أقول؟ اصعدي السلم وانظري إلى اليمين وستريني واقفة أنتظر في الردهة.

لحظات وكانتا وجهاً لوجه . . كانت ميرلن واقفة في منتصف ردهة طويلة.

ـ دانيالا؟ آه . . أجل لقد شممت عطرك . . أهلاً بك.

وهي تدخل شقة ميرلن، استقبلها كلب حراسة لابرادور ذهبي اللون شديد النظافة.

ـ هذا بربل . . كلبي المرشد.

ـ مرحباً بربل . .

وضحكت دان والكلب يتشممها متفحصاً، حين مرت بالتفحص

بنجاح ربتت على رأس الكلب.

ـ أنت رائع! رائع!

تدخلت ميرلن:

ـ هذا يكفيه.. سيغتر بنفسه! بريل كفى! اذهب إلى فراشك.. أرجوك.

بطاعة شديدة، ابتعد الكلب.

سبقت دان ميرلن إلى غرفة الجلوس:

ـ أوه.. هذا جميل جداً.

كانت الردهات والسلم مغطاة بالسجاد الأخضر.. أما هنا، في الشقة، فقد كان السجاد بلون أخضر فاتح مثل الستائر على النوافذ الواسعة. وهناك أبواب زجاجية مفتوحة الآن، تسمح للهواء الدافىء بالدخول إلى الغرفة.

كان الأثاث عصرياً من المخمل الخشن والجدران بيضاء، على أحدها رفوف تحوي مجلتين وراديو وستيريو، لكن الجدار الأكبر الذي يواجه النافذة كان فارغاً، ما عدا.. أن هناك علامة فوقه.. علامة أكثر قتامة من بقية الجدار.. علامة لا بد أنها أثر للوحة كانت معلقة هناك.. لوحة كبيرة. ونظرت دان إليها مقطبة.. وعرفت سبب عدم وجود اللوحة وعرفت أية لوحة هي.

لكنها لم تعلق بشيء، بدلاً من هذا علقت على نباتات ميرلن.. كان هناك ثماني نبتات. خمسة منها معلقة، تتدلى من سلال:

ـ إنها في حالة جميلة جداً.. صدقاً.. أنا لا أعرف شيئاً عن النباتات المنزلية!

ضحكت ميرلن:

ـ أعتقد أنه يبدو من الغريب لك وجود نباتات معلقة عندي.. لدي منها في كل غرفة.. وأنا أتمتع بها بالرغم من أنني لا أراها.

كما تتمتع بلوحة أمها تماماً.

ـ لا يبدو هذا غريباً أبداً.. بإمكانك لمسها وشمها، وتعرفين كيف تبدو.. ثم إنها توفر الأوكسجين في الغرفة.. أليس كذلك؟

ـ يا للسماء.. هذا آخر سبب يدعوني للاحتفاظ بها! اجلسي دانيالا.. هل ترتدين سترة؟ لا.. حسناً، أريحي نفسك.. سأضع غلاية الماء في الكهرباء.. وعندي صينية محضرة للشاي، وسأصنع لنا بعض السندويشات.

كان الوقت وقت غداء، لكن دان لم تكن جائعة فالطعام كان الأبعد عن تفكيرها.

ـ لا أريد شيئاً من الطعام.. شكراً.. هل أساعدك؟

كانت متأثرة فهي لم تعرف شخصاً أعمى من قبل ولا تعرف كم هم قادرون على العمل بأنفسهم.

ـ لا.. لا بأس في هذا.. كل ما أطلبه منك هو أن تبعدي حقيبة يدك عن الأرض وتضعيها في مكان لا يمكن أن أتعثر بها.. ولا تحركي شيئاً عن مكانه دون أن تقولي لي.. آسفة لهذا! ستعتادين عليّ.

لم تكن المرة الأولى التي تقول ميرلن فيها هذا.. ولم تكن المرة الأولى التي تتمنى فيها دان أن تعتاد عليها. حسناً.. لقد انتهت الترحيبات اللطيفة الآن وحضرت نفسها للسؤال:

ـ بدوت قلقة جداً على الهاتف.. فما الأمر؟

ـ مهلك لحظات.

رفضت الكلام قبل انتهاء تحضير الشاي، ووضعت الصينية على طاولة منخفضة أمام الأريكة. ثم جلست قرب دانيالا وقالت إن بإمكانها تولي أمر صب الشاي.

ـ والآن.. لنتكلم عنه.. ذلك الأخ الأحمق.

تغيرت أساريرها تماماً.. وتلاشى المرح والخفة.. وأصبحت مقطبة.. لكن جمال وجهها لم يتغير.

ـ يجب أن أعتذر لك أولاً دانيالا.. أنا.. خدعتك لتأتي وتريني..

كذبت نوعاً ما.. أنا لست قلقة على راند.. بل أنا غاضبة منه.. كلمته مرتين منذ نهاية الأسبوع التي كنا فيها معاً، يوم سافر إلى نيويورك. آخر مرة كانت مساء الجمعة، كما قلت لك.. إنه في أمستردام.. على الأقل كان هناك، قال إنه سيسافر إلى المانيا في اليوم التالي.. في رحلة شراء.

- لكن لماذا تشكين في هذا؟ بالتأكيد لا شيء غير عادي في هذا؟

- لا شيء أبداً.. عدا عن أن لديه موظفين أكفاء يشترون له عادة.. في هذه الأيام لا يخرج خارج البلاد كثيراً، إلا إذا كان يسعى إلى شيء مميز.. وما عدا أنه قال لي إنه مسافر إلى فرنسا بعد المانيا.. وما عدا أنه سيبقى هناك «لعدة أسابيع».. وما عدا أنه «بحاجة» إلى إجازة طويلة.. وكل هذا فجأة!

صمتت ميرلن.. تفرقع بلسانها استياءاً:

- لم أعرفه يأخذ عطلة تطول أكثر من أسبوعين.. إنه يضجر بسهولة.. ولم أعرفه يبقى بعيداً عن عمله إلى.. كم هي المدة؟ شهرين؟ واسمعي هذا، لقد قال لي إنه سيقيم في ڤيلا في جنوبي فرنسا، مكان يملكه صديق له.. هذا لا بأس به في حد ذاته لكنه تابع يقول إنني لا يجب أن أقلق إذا لم يتصل بي لبعض الوقت.. وإن أفضل شيء في تلك الڤيلا أن ليس فيها هاتف.

للحظة، تساءلت دان ما إذا كانت مخطئة بشأن ميرلن.. هل تشعر بعدم الأمان؟ هل هي قلقة لغياب أخيها.. ولصمته؟

لكن ما إن فكرت بهذا حتى تحررت من الوهم بسرعة.. وبقسوة:

- كنت كمن يتكلم إلى جدار حجري دانيالا! لم أستطع الحصول منه على رد صريح.. سألته ماذا يظن نفسه يفعل بتخبئة نفسه بعيداً. هل تعرفين ماذا قال؟ قال إنه بحاجة إلى الراحة! هل سمعت يوماً عذراً كهذا؟

صمت مطبق.

ابتسمت ميرلن بقلق:

- هكذا إذن.. إنها مؤامرة.. هه؟ أنت تخيبين أملي دانيالا.. لقد

أوقعت ملعقة الشاي مرتين، وإذا لم تتوقفي عن تحريكه فلسوف تحفرين ثقباً في أسفل الفنجان.. أنت مشدودة الأعصاب كأوتار الكمان.. وذبذباتك تكاد تلامسني!

توقفت دان عن تحريك الشاي فوراً.. كيف ستنجو من هذا؟ مثلها مثل راند، ميرلن لا يفوتها شيء أبداً.. لديها دماغ حاد كرأس السيف مثل أخيها تماماً.. ولديها طريقتها الخاصة في معرفة مشاعر دان.. والأسوأ من هذا، إنها تعرف بالضبط ماذا يجري.. في الواقع تعرف أكثر مما تعرف دانيالا.

- إنه يحبك دانيالا.

- لا.

بصوت ينم عن السخط، وقفت ميرلن وأخذت تتحرك بنفاد صبر.. أخيراً أسندت مرفقها على أحد الرفوف، واستدارت إلى الفتاة الأصغر سناً منها.

- لن نصل إلى أي مكان إذا استمريت هكذا، دانيالا.. لن أقول إن هذا ليس من شأني، فهو من شأني.. أنا متورطة فيه. لا أعرف ماذا قال لك راند.. لكنك لن تتركي هذه الشقة إلى أن أعرف.. الآن أجيبي على هذا السؤال: من أنهى العلاقة؟

لا فائدة.. ولا جدوى من محاولة خداع المرأة. إنها أكثر ذكاء من هذا وأكثر حدة وأكثر حكمة من أن تعامل وكأنها طفلة.. وبتنهيدة عميقة قالت دان:

- هو.. من أنهى العلاقة معي.

- آه.. الآن نتجه إلى شيء ما على الأقل، ستعترفين أنك تحبينه.

- بعجز.. ودون أمل.

هزت ميرلن رأسها:

- وكنت حمقاء بما يكفي لتتركيه؟

انزعجت لهذا:

ـ حمقاء بما يكفي؟ هل تظنين أنه كان لي خيار؟ إنه لا يحبني.. والأمر بسيط جداً.

ـ كلام هراء!

رفرفت دان عينيها. لم تتوقع مثل هذه الصراحة، ميرلن مليئة بالمفاجآت! ولو لم تكن دان متوترة لضحكت، لكنها انفجرت باكية.

في لمح البصر، كانت ميرلن إلى جانبها تحيطها بذراعيها.

ـ هيا، تابعي حبيبتي.. أخرجي كل ما في نفسك.. أوه.. يا للوقت الرهيب الذي مررت به في الأسبوعين الماضيين! لقد ذقت الجحيم.. أليس كذلك؟ أوه.. أستطيع خنق راند لأجل هذا! ذلك الأبله اللعين المحبوب، أخي.. وكل هذا بسببي.. أستطيع خنقه!

فجأة أخذت دان تبكي وتضحك معاً، كانت تضحك على غضب ميرلن وهي تستند إليها بارتياح وكانت تبكي بسبب لطفها الصرف، إضافة إلى أسبابها الأخرى.. لم تكن تريد قول المزيد إلى أن تهدأ.. من المهم أن تنتظر إلى أن تعود إلى التفكير القويم، لا زالت بحاجة أن تكون حذرة فيما تقوله.

وجاء السؤال حتمياً:

ـ ما السبب الذي أعطاه لك للانفصال؟

ـ إنه.. كما أعتقد افترض أنني أريده أن يتزوجني.. كما ترين.. كنت حمقاء بما يكفي لأقول له إني أحبه.

ـ ماذا قال؟ كيف كانت ردة فعله؟

ساد صمت عميق.

تأوهت ميرلن:

ـ أنا آسفة. لا أريد أن أتطفل عليك. لكن.. الأمر هام جداً ويجب أن أعرف كيف يعمل تفكيره.

وما المهم؟ ميرلن تعرف أن لأخيها علاقات متعددة!

ـ لا بأس في هذا.. كانت تلك ستكون المرة الأولى لي، والمرة الأولى

لنا. كنت غبية أو حكيمة لأقول له هذا.

ثم تابعت تخبرها ببطء عن تدخل هوارد لمقاطعتهما، وعن الطريقة التي خرج فيها راند من الشقة، وكيف عاد في الواحدة صباحاً.

ـ و.. ماذا؟

أغمضت دان عينيها، فالنظر إلى عيني ميرلن الزرقاوان كالنظر إلى عيني أخيها.

ـ ثم قال لي إنه جاء ليقول لي وداعاً.. أوه.. في ذلك الوقت عرفت أن هذا قادم. ولأكون منصفة، لقد قال لي منذ البداية إنه لن يتزوج أبداً.

ـ ماذا قال؟

أوه.. يا الله! أجفلت دان من عنف سؤالها.. وأكملت ميرلن: وقال لك إنني السبب.. ألم يفعل؟ ألم يفعل؟

ولم يكن هذا في الواقع سؤالاً بل حقيقة واقعة.

همست دان: أجل.

ـ اللعنة!

ووقفت ميرلن على قدميها.. وبقيت واقفة وقتاً طويلاً قبل أن تعود للجلوس.

جلست دانيالا دون حراك، تكره نفسها.. سوف يكرهها راند لأجل هذا ولن تراه مجدداً.. لكن ما يظنه بها يهمها كثيراً.. لا يمكنها تحمل التفكير بكراهيته لها..

ـ لكن لم يكن الأمر هكذا فقط.. هناك أكثر من قلقه عليك ميرلن. يجب أن تصدقي هذا.. فقد سألته بصراحة ما إذا كان يحبني.. وكنت واثقة أننا سنتفق على شيء ما أو أن الأمور ستحل نفسها بنفسها.. لكنه قال لا.. نظر إليّ مباشرة وقال إن مشاعره نحوي لا تذهب إلى هذا الحد لذا فإن دورك في هذا لم يعد له أهمية.

قالت بلهجة صارمة: كان يكذب!

واكملت بسخرية: والآن رحل! واضح أنه يعتقد أنه لو قضى فترة

من الزمن في محيط جديد، سوف ينساك، الأحمق! لا شك أنه يدرك أن الأمر مختلف هذه المرة؟ إذا عرفت أنا هذا، فلماذا لم يعرفه هو؟ لا أستطيع أن أفهم.. الأمر مختلف تماماً!

كان صوت دان لا يكاد يسمع:

ـ هذه المرة؟ ماذا.. ماذا تعنين.. هذه المرة؟

* * *

جلست ميرلن إلى كرسي، متعبة.

ـ أعني أن راند كان مرة سيتزوج. كان في الثامنة عشرة.. وهذا منتصف عمره.. على أي حال عمرنا معاً.. كان صغيراً جداً، وظن نفسه أنه يحب لكن ما من أحد منا كان يعرف هذا في ذلك الوقت.. ألم يذكر هذا لك؟

ـ لا.

ـ ربما نسي الفتاة.

ـ المرء لا ينسى أبداً حبه الأول.

كان على شفتي ميرلن ابتسامة.. حقيقية:

ـ هذا صحيح.. فأنا لم أنس حبي الأول. كنت في السادسة يومها على أي حال.. كان راند قد أمضى فصلاً في جامعة كامبردج، حيث التقى بالفتاة.. ساندرة غريرسون.. عاد إلى المنزل وحده لعطلة الميلاد، كان يعيش في شقة قرب الجامعة.. بما أنك تعرفين الحادثة، تعرفين المنزل كذلك.. صحيح؟

ـ أجل.. الحادثة حصلت في مكان قريب.

ـ في الأراضي التابعة.. حسناً، سأختصر، أعلن راند خطوبته ما إن وصل المنزل.. أمر واقع.. ولم تكن خطوبة رسمية بعد.. كان يهيم في السماء التاسعة! أنا لم ألتق بساندرة أبداً، لكنني كنت مسرورة له لأنه كان سعيداً جداً.. أترين، لم يعرف يوم سعادة منذ فقدت بصري.. ثماني أو

تسع سنوات ولم يتوقف يوماً عن لوم نفسه، ولا يزال كما لا بد تدركين جيداً. لكن في ذلك الوقت، وبفضل ساندرة ظننته تمكن أخيراً من تجاوز الحادثة.

صمتت ميرلن وقد ظهر الحزن على وجهها:

ـ ثم حدثت المأساة الثانية في حياة عائلة لوماكس.. ماتت أمي فجأة في الليلة التي سبقت الميلاد.. جلطة دماغية.. لم يكن أحد يعرف بهذا.

ـ أوه.. ميرلن! هذا فظيع!

ـ وازداد الأمر سوءاً.. كان والداي صغيرين نسبياً، في الواحدة والأربعين كلاهما. كان أبي مخلصاً لأمي وحزن عليها.. موتها قتله. ولم يحضر جنازتها.. فقد انهار بنوبة قلبية يوم الميلاد.. كانت النوبة قاسية جداً، وأستطيع القول إني ممتنة لأنها قتلته في الحال.. فلو عاش كان سيبقى مشلولاً.. وهذا سيكون من الصعب تحمله لنا جميعاً.. كان رجلاً مفرط الذكاء والحركة.. محام يحب عمله بقدر ما يحب عائلته..

كانت دان كالخرساء لا تعرف ما تقول.. مجرد التفكير أنه في بحر يومين فقد راند وميرلن أبويهما.. وفي عمر الواحدة والأربعين!

تابعت ميرلن: باستطاعتك أن تتصوري كم كنا مدمرين.. فجأة وجدنا نفسينا وحيدين في الدنيا.. نعيش في ذلك المنزل المتسع. كان راند قد رفض العودة إلى الجامعة.. وقال كذلك إنه سيفسخ خطوبته مع ساندرة.. وعرفت على الفور ما كان يفعل.. كان يفكر بي.. كان يتساءل كيف يمكن أن أتدبر أمري دون والديّ.. خاصة أمي.. كان يضحّي بنفسه لأجلي قائلاً إننا سنعيش معاً في المنزل.. وأصابني الهلع لكل هذا.. وتخاصمنا كالقطة والكلب. قال لي إن شيئاً قد تغير في داخله.. ولم أصدقه.. قال إنه أدرك أنه لا يحب ساندرة.. وتستطيعين أن تتصوري ماذا أجبته على هذا! لكن كما تبين فيما بعد، كانت هذه هي الحقيقة.. ولو لم يعرفها أي منا على الفور.

ران صمت مفكر على ميرلن.. ثم أكملت متنهدة:

ـ هكذا.. ودون معرفته.. بمساعدة الأوصياء عليّ قمت بالترتيبات لأعيش هنا.. وأعلنت لراند بعد انتهاء كل الترتيبات ما أنوي أن أفعله.. لم يخطر بباله أنني أستطيع العيش في مكان آخر، أو أحصل على بعض التدريب، أو عمل يبقيني مشغولة.. جن جنونه وجادلني ليل نهار.. لكن عزمي لم يتزحزح.. و.. ها أنا!

وأدركت دان أن هذه هي الحقيقة الفجة، ولم تحتج إلى المزيد. بعد وفاة والديه، منذ ثمانية عشرة سنة، حزم راند رأيه على أن لن يتزوج لأنه القريب الوحيد المتبقي لميرلن في العالم.. وقالت: ثم عاد إلى كامبردج.. ألم يفعل؟ ذكر لي..

ـ أوه.. أجل.. حين رأى أنني لن أغير رأيي.. لقد حررته بما فعلت.. أو ظننت هذا. وحررت نفسي كذلك. لدي حياة جيدة هنا، وكان هذا أفضل ما فعلته لنفسي.

ـ جناح لوماكس؟ هل كان سببه الإحساس بالذنب؟

ـ في الواقع، لا. إنه يهب المال بسخاء.. لكل أنواع الأعمال الخيرية.. وهذا في طبيعته، لماذا لا تتناولين المزيد من الشاي دانيالا؟ أم تفضلين القهوة؟

ـ اسمحي لي أن أصنعها.. فأنا أشعر بحاجة إلى الحركة.. أرجوك.

ضحكت ميرلن:

ـ أعرف هذا الشعور.. هيا افعلي.

وفعلت دان، تعنى عناية فائقة في إرجاع كل شيء إلى مكانه بالضبط، ثم عادت إلى غرفة الجلوس بكوبين من القهوة:

ـ لقد وضعت صينية الشاي إلى الجانب الأيسر من اليسرى من المغسلة، ميرلن.

ووضعت كوب ميرلن قربها على الطاولة الصغيرة: هاك كوبك.

ـ شكراً.. أتعلمين.. من السخف جداً الاحتفاظ بذلك المنزل.. لكنه وعد قطعته لراند في ذلك الوقت.. كان قد رفض بيعه في حال

أردت العودة إليه، في مرحلة ما. وأسألك! أيمكن أن تدفعيه لتغيير رأيه؟ إنه أكثر عناداً مني.. حتى اليوم، يصر على الاحتفاظ به.. وأنا نادراً ما أذهب إلى هناك.. مع أنه جميل جداً.. إنه.. نوع من المزارات، تقديس لأيام ذهبت ولن تعود.. هذا عدا ذكر كلفته.. أتعرفين كم جنائنياً يدفع لهم كي يحافظوا على الحدائق بشكل محترم؟ أربعة! أليس هذا سخفاً؟ هذا جيد لو أننا نعيش فيه، نقدر قيمته.. إنه منزل رائع، ويجب أن يمتلىء بصوت الضحك وبالأطفال..

صمتت ميرلن وعيناها دون وعي تلتقيان بعيني دان مباشرة:

ـ وهذا ما يعيدنا إلى مشكلتنا. ماذا سنفعل؟

ـ نفعل؟ لا نستطيع أن نفعل شيئاً.

ـ اللعنة!

ـ ميرلن، أصغي إليّ. لا أصدق أنني أتحدث هكذا معك. لأجل السماء.. أنت أخته!

ـ وسبب كل مشاكلك ومشاكله.

ـ لا.. أنت تقولين إنه يحبني، لكنك مخطئة.

ـ دانيالا.. أعرف أن المسألة لا تبدو واضحة.. لكنني أعرف عمَ أتكلم.. أعرف راند من الداخل إلى الخارج. إنه يقاتل نفسه الآن.. الحبيب المسكين. إنه ممزق بين ذنبه نحوي وبين حبه لك.. أعرف أنني محقة.. لا شيء سيقنعني بالعكس.

مالت ميرلن إلى الأمام تفتح أصابعها الطويلة الأنيقة:

ـ أول مرة ذكرك أمامي، كانت يوم قابلك.. إنه دائماً يقول لي ما يفعل.. أحياناً أكاد أصيح! لكن قصده طيب، إنها طريقته في مشاركتي حياته.. ماذا كنت أقول؟ آه.. أجل أول مرة ذكرك لي، قال إنه قابل امرأة مذهلة. قال إنه وجدك في مكتبه تثرثرين مع تلك السكرتيرة المؤقتة.. ثم أخبرني أنه أخذك إلى العشاء.. وأنه وجدك مذهلة ومثيرة للاهتمام فعلاً.. لم أكن قد سمعته من قبل يتحدث بمثل ذلك الحماس..

ذلك لم يكن من عادته.. وسررت كثيراً. ثم كانت آخر ليلة من المسرحية، يوم التقينا.. جاء راند ليأخذني من هنا ذلك الصباح.. وردد خلال الرحلة أكثر من ست مرات تلهفه لانتهاء المسرحية ليستطيع أن يراك أكثر في الأمسيات.. كان يخطط لهذا مسبقاً.. وما إن دخلنا شقته حتى اتصل بك. وكان وقت الغداء.. فكر أن من اللطف أن تنضمي إلينا.. أعرف أنه كان في برايتون ليومين ولا يستطيع الانتظار ليراك، ولا حتى إلى ذلك المساء.. هل يجب أن أروي لك أكثر من هذا؟

تصاعد صوت مخنوق من آخر الغرفة.. كانت دان تبكي مجدداً.. كان ذلك يوم أرسل لها الوردة.. إنه يحبها! ويعرف تماماً ما تعنيه الوردة الحمراء. أوه.. يا الله! لم تكن مخطئة ليلة المؤتمر الصحفي حين نظر إليها بعينين مليئتين بالحب.

قالت متلعثمة: هناك.. مشكلة واحدة. لا.. أنا بخير.. حقاً.. فلا تقفي.

فتشت في حقيبتها عن منديل تنفخ فيه أنفها بصوت مرتفع.

بقيت ميرلن حيث هي، وقلبها يتلهف على الفتاة الأصغر منها سناً.. وقالت بنعومة:

ـ أعرف.. وصدقيني.. أنوي أن أتحدث معه طويلاً.. ذلك الأخ.

كادت دان تقفز من مكانها:

ـ لا! فكري بالأمر.. هذا هو الشيء الخاطىء تماماً! حسن جداً.. ربما يحبني راند فعلاً.. لكنه لا يحبني بما يكفي.. ليفكر على أساس الدوام. بالنسبة لي في هذه المرحلة.. لا شيء يرضيني غير الدوام ولا بد من هذا..

كل شيء أو لا شيء.. كلمات استخدمها راند.. وماذا فعل بعد هذا؟ لقد قال وداعاً.. وأكملت:

ـ سيكون الأمر عائداً له، يجب هذا. دعيه وشأنه الآن.. دعيه يقاتل معركته، وإذا اختارني يجب أن يكون هذا بملء إرادته، ولأنه يريدني

حقاً. أنت أنثى ولا بد أنك تفهمين ما أعني.. حبه لي، وحاجته، يجب أن يكونا أقوى من مشاعر الحب والذنب نحوك.. ولا يجب بأية طريقة كانت أن تؤثري عليه.

قالت ميرلن بصوت منخفض: هذا صحيح.. أنت على حق.. على حق تماماً. طبعاً.. كنت فقط أحاول..

ـ المساعدة.. أعرف.. ولقد ساعدتني كثيراً.. وسأحب أن تكوني شقيقة زوجي.. أنت رائعة بل ممتازة.. عديني فقط.. عديني بصدق.. أنك لن تقولي شيئاً لراند.. دعيه وشأنه.

ـ أقسم لك، أقسم أن لا أقول كلمة له.

وأغمضت عينيها.. ستفي بوعدها..

ـ ميرلن؟

ـ آسفة.. لقد عدت إلى الماضي لحظة.

ـ هذا ما أردت أن أسألك، عن الماضي.. تلك اللوحة التي تعيش على جدارك، السيدة ذات الرداء الزهري.. أليس كذلك؟ إنها أمك.

ـ أجل، كانت رؤيتها في اللوحة آخر مرة رأيت فيها أمي.. كانت آخر عمل فني أراه.. كان فيليبي الفاريز يقيم معنا يوم وقعت لي الحادثة. لقد رسم السلسلة، اللوحات الستة التي عرضها راند مع السيدة ذات الرداء الزهري.. لقد رسمها لأمي خلال إقامته كذلك.. ولم يسمح لأحد أن ينظر إليها إلى أن انتهت.. كشف عنها الستار يوم الحادثة بالضبط، في الصباح ذاته. كنا كلنا موجودين.. وآمنت يومها أنها أجمل شيء رأيته في حياتي، لكن أمي كانت جميلة دانيالا.. حقاً جميلة.. وتلك اللوحة تعني الكثير لي.. ولست مضطرة إلى أن أرى كي أراها.

أخيراً فهمت دانيالا! أم أنها حقاً فهمت؟ هناك المزيد، وتعرف هذا..

ـ هناك المزيد فيها.. أليس كذلك؟ شيء ما لم تقوليه لي؟

ابتسمت ميرلن:

ـ أجل.. لكن هذا سيكون نوعاً من التخمين.. وهذه قصة أخرى.

تركت دان الأمر على ما هو. إنها قصة أخرى.. وربما لن تسمعها أبداً.. أما بالنسبة للوحات الست فقد كانت بطيئة الفهم حتى الآن، ولم تدرك أنها تمثل منزل لوماكس والأراضي التي تحيط به.

ـ الأفضل أن أذهب الآن.. لدي بعض الثياب عليّ أن أكويها، وأن أحضر ملابسي للعمل غداً.

رن جرس الهاتف فرفعته ميرلن: ميرلن لوماكس.

تغير صوتها بشكل عجيب:

ـ أوه.. مرحباً داني.. بالطبع أتوقع وصولك، حوالى الثامنة.. أجل.. أستطيع الاستعداد في السابعة، إذا كنت تفضل هذا.. عظيم.. لا. لا. أنا لا أحاول التخلص منك.. لدي ضيفة، ونحن نودع بعضنا للتو.

حقاً؟

وضعت السماعة مكانها.

ـ كان هذا الأخير.

ـ الأخير؟

هزت كتفيها:

ـ آخر حبيب.. صحيح أنه لم يكن هناك الكثير.. فأنا لا أريدك أن تأخذي عني الانطباع الخاطىء!

آخر حبيب؟ وماذا ستعرف بالتالي؟

ـ أنا.. أوه! هل هو.. أعني..

ـ تعنين أنه أعمى؟

ضحكت ميرلن..

ـ الجواب لا، إنه المذيع الجديد لمحطة الإذاعة المحلية.. التقيته منذ أسابيع حين كنت أتمشى.. يقولون لي إنه جميل تماماً.

ابتسمت دان: وأنت كذلك.

ـ هذا ما أعتقده!

ـ هل يعرف راند بهذا؟

ـ بالطبع لا.. قد أذكره له أو لا أذكره في الوقت المناسب.. أنا لدي حياتي الخاصة دانيالا.

وضحكت مرة أخرى بقليل من الاعتذار وقليل من الخجل.

ـ آسفة، ما أعنيه سأنتظر لأرى ماذا سيحدث، آسفة مرة أخرى! لكنك ستعتادين عليّ.

أوه.. كم تتمنى دان هذا!.. تتمناه جداً.. جداً.

* * *

www.elromancia.com

٨ ـ ماذا تعرف عن الحب؟

كانت دان تعيد على مسامع سكرتيرتها ما قاله لها وكيل السفر:

ـ المشكلة أنني سأضطر إلى دفع مبلغ ضخم لأن الشقة تحتوي على أربع غرف نوم.

كان اليوم الثلاثاء.. وكانت قد أعطت رقم عملها للوكالة وعرض عليها الموظف أربع مواقع للعطلة. وقررت قبول عرض الڤيلا في جنوبي اسبانيا، وتركته يجري الترتيبات الضرورية..

قالت روث: وأين تقع هذه الشقة بالضبط؟

ضحكت دان وهي تتلفظ الاسم الغريب:

ـ فاون.. فاونجي.

قالت روث بثقة في النفس: فاونجيرولا.. لا تبعد كثيراً عن ماربيلا.. مباشرة في وسط الساحل الجنوبي.. ولسوف تحصلين على فائض من الشمس هناك. ألا تتكلمين شيئاً من الإسبانية؟

ـ سي.. سي!

ـ أهذا كل شيء؟

ـ سي!

وغرقت روث في الضحك.. أوه.. يريحها رؤية دان تبدو على طبيعتها، وأكثر مرحاً:

ـ أعتقد أن عليك تعلم كلمة أخرى: لا! أتعتقدين أنك قادرة على تذكر هذه الكلمة؟ أتعرفين ماذا يقال عن الإسبان ذوي الدم الحار؟ قد

تلتقين بشخص ما.. شخص قد..

تلاشت الابتسامة عن وجه دانيالا.. شخص قد يبعد أفكارها عن راند؟ وربما يحل مكانه؟ أبداً.

ـ انسي هذا روث.. ثم إنني على ما يرام هكذا.

ولم تتابع روث كلامها.

كان هذا صحيحاً، وغير صحيح.. كانت دانيالا تعمل ناشطة، تؤدي عملها بشكل طبيعي. حتى أنها كانت تضحك من وقت لآخر.. لكن، من الداخل..

انتزعت نفسها من أفكارها وعادت إلى ما بين يديها.

ـ يجب أن أدخل لأرى السيد رنغتون.. مكتب السفر يريد أن أرسل له الشيك فوراً كي أستطيع السفر الليلة باكراً، فالمكتب يقفل في الخامسة والنصف.

حيا تشارلز مساعدته وكأنه لم يرها منذ أيام.

ـ صباح الخير دانيالا! ادخلي.. ادخلي.

جلست تنظر إليه بشيء من الارتياب.. ماذا به؟

قال: لقد رفس الطفل في بطن أمه لأول مرة يوم أمس! قلت لكاترين أنه كان يجب أن تتصل بي فوراً لتخبرني.. لم أعرف بهذا قبل الليل.

بدا ساخطاً مما أثار ابتسامة من دان.. إنه رجل طيب لطيف، ولقد عاد إلى طبيعته هذه الأيام.. ما عدا هذه الأنباء عن كاترين بين حين وآخر.. وما عدا أنه كان يبدو أكثر سعادة.. سعادته مبهجة للنظر.. ويحسد عليها!

لم تستطع ترك الخبر يمر دون تعليق:

ـ حسناً.. هذا أمر مثير! وهل كاترين بخير؟

ـ مبتهجة، مبتهجة! سنأتي اليوم إلى هنا وسآخذها إلى الغداء.. لذا بإمكانك الترحيب بها.

ـ سأتطلع شوقاً لهذا.. أوه.. جئت أطلب.. منك..

وشرحت له ترتيبات عطلتها.. فقال: طبعاً.. سافري ساعة تشاءين دانيالا.. أنت تعملين ساعات إضافية كثيرة هذه الأيام.

حين لم ترد، سألها المزيد عن العطلة. تحدثا لبضع دقائق قبل متابعة عملهما.. ولم يكن هناك أسئلة شخصية.. إذا كان تشارلز يعرف شيئاً عن علاقتها براند لوماكس فهو لم يدعها تعرف.

تحدثت دان إلى أمها.. كانت الساعة الثامنة مساء يوم الجمعة قبل سفرها إلى اسبانيا، وقالت الأم:

ـ طبعاً كتبت العنوان ولا أستطيع التفكير بسبب يدعو إلى الاتصال بك.. لا أحد مريض أو شيء ما.. مع ذلك، سأكون سعيدة لمعرفتي أين ستكونين.

ـ طبعاً. من الأفضل أن أذهب الآن أمي.. لدي الكثير أقوم به.

ـ أتصور هذا.. لكن حبيبتي، أكره أن أفكر بك تأخذين عطلة لوحدك..

لكن العطلة تقررت وانتهى الأمر.. وقد فات أوان تغيير رأيها.. على الأقل، اتخذت قراراً.. وهذا أمر جيد.. أليس كذلك؟

قالت: لا تفتعلي ضجيجاً حول المسألة.. سأنال قسطاً جيداً من الراحة. لقد شرحت لك لماذا لم أطلب من صديقة أن ترافقني.

ردت انطونيا: لم أصدق هذا.

جعلت هذه الكلمات دان تشعر بالخجل.. فهي لم تكن صادقة مع أمها، وتجنبت كل سؤال عن راند.. وهذا غلط منها، ولم تدرك هذا سوى الآن.

ـ أنا آسفة أمي.. أنا.. حقاً أحتاج إلى الراحة. لقد عملت جاهدة طوال السنة.. ولا أريد صحبة.. وهذا كل ما في الأمر، ولا صحبتك أو صحبة أبي، والحقيقة التي أنا واثقة أنك تعرفينها أنني لم أتغلب على صدمتي مع راند بعد.. فأنا لم أرغب في إنهاء العلاقة بيننا.. هو فعل.

ـ لكن لماذا؟

ـ لأنه ببساطة ليس من النوع الذي يتزوج.

هذا يكفي.. لا مجال لكي تشرح أكثر عبر الهاتف.

في العاشرة من ذلك المساء، كانت لا تزال تكوي ملابسها ووجدت مفاتيح الحقيبة، وكل شيء على ما يرام.. لم تكن تتوقع أحداً.. كان هوارد قد ودعها وخرج ليسهر.

لكن واضح أنه لم يفعل هذا.. فقد كان يقف بباب دارها.

ـ مرحباً! فكرت أن أرى إذا كان بالإمكان مساعدتك في شيء..

ـ أدخل أيها الأحمق؟ لن آخذ شيئاً كثيراً معي يستحق المساعدة.

وعادت إلى لوحة الكوي، وهو يسير خلفها.

ـ يا إلهي.. لماذا تكوين كل هذه الثياب إذن؟

ـ سآخذ فقط..

صمتت، كانت ستقول ما هو ضروري. وتذكرت يوم أخذها راند ليوصلها إلى كيندال، كان قد مازحها حول كم وضبت من ثياب ليومين. هذه هي مشكلتها.. إنها دائماً تتذكر..

جلس هوارد في مقعد، يبدو آسفاً.

ـ في الواقع.. كان من المفترض أن أخرج مع فتاة.

ـ وماذا حدث؟

ـ ألغت الموعد.. الحمقاء! لا تعرف ما فاتها.

ابتسمت دان:

ـ إذن كن مفيداً! واصنع لي فنجان قهوة.

كانت السابعة صباحاً حين تناولت فنجان القهوة التالي.. أقفلت كل شيء قبل مغادرة الشقة ووضعت جواز سفرها في حقيبة يدها، ونظرت حولها للمرة الأخيرة.

وصلت مطار هيثرو قبل وقت طويل... وكانت الرحلة إلى مالقة سهلة هادئة.. لكن كان الرجل الجالس إلى جانبها يتكلم دون توقف،

حتى وهي مغمضة العينين تحاول التظاهر بالنوم! كان في حوالي الثلاثين ويسافر لوحده، والحمد لله لن يقيم في أي مكان يقرب من فاونيجرولا.

حين كانت تنتظر حقيبتها في مطار مالقة، افترضت أن عليها أن تشعر بالغرور. فقد وقف الرجل على بعد خطوات منها.. وهو وسيم جداً.. ويبدو أنه استسلم.. لا بد أنه أدرك أن في البحر الكثير من السمك مثلها.

ولماذا لا تفكر هي هكذا؟

ـ تاكسي!

ـ تاكسي!

كان هناك مجموعة أصوات وبحر صغير من الوجوه وهي تخرج إلى قاعة المطار الرئيسية. كان سائقو التاكسي يتنافسون بحماسة للحصول على زبون.. واختارت دان وجهاً ظنت أنها يمكن أن تأتمنه ليقلها إلى ڤيلا فلورا، في فيونجيرولا.

استقرت في مؤخرة التاكسي واسترخت.

ارتفعت معنوياتها كثيراً.. كانت الشمس مشرقة.. محرقة، لا يوجد غيمة في السماء.. وهناك صمت كذلك.. تغيير كامل بعدما تعرضت له في الطائرة.. كان سائق التاكسي من النوع الصامت.. ولو كان ثرثاراً، فلن يصل معها إلى أي مكان! صحيح أنها تتكلم الفرنسية بطلاقة، لكن لن يفيدها هذا.

إلى يمينها جبال سيرا بلانكا، وإلى اليسار البحر الأبيض المتوسط العظيم الأزرق..

برزت الشقق السكنية «ڤيلا فلورا» بعد أقل من ساعة من مغادرة المطار.. وازداد ارتفاع معنويات دانيالا.. كان المبنى على شكل حدوة حصان من ثلاثة مجمعات.. في الوسط بركة سباحة تلمع زرقاء تحت الشمس وحول البركة أشجار هنا وهناك تعطي الظل، تحتها كراسي نوم طويلة خاصة للشمس، وطاولات صغيرة.. كانت النباتات تنمو في كل

مكان.. كان هناك مقهى خارجي مغطى بمظلة بيضاء وحمراء مخططة، ورأت لوحة تشير إلى مطعم في الطابق الأرضي.. أجل هذا مكان رائع لها!

دفعت أجرة التاكسي وأجزلت العطاء بحيث ابتسم بفرح وشكر، وتركت حارس الباب يعتني بحقائبها.. سارت وراءه نحو مجموعة سلالم، متجاهلاً المصعد.. هكذا عرفت أنها ستقيم في الطابق الأول.

كانت الشقة ممتازة. جدرانها بيضاء ناصعة، الأثاث اسباني، الأرض مبلطة ومغطاة جزئياً بالبسط.. اختارت غرفة النوم التي لا تطل على بركة السباحة.. وأفرغت حقائبها ثم دخلت المطبخ الصغير لتحضر لنفسها بعض القهوة.. لكنها لم تجد قهوة..

خرجت واثقة أن بوجود شقق كهذه هناك سوبرماركت لا يبعد كثيراً عنها.

في اليوم الثالث، بدأت تكتب بطاقات بريدية آملة أن تصل إلى انكلترا قبل أن تعود هي..

في اليوم الخامس، بدأت تضجر.. تناولت الطعام في المطعم كل مساء، والسبب أن من المريع الجلوس في الشقة وتناول الطعام لوحدها.. طبعاً دعيت للخروج، زوجين شابين وأكثر من أربعة عزاب يقيمون هناك.. أشخاص تحدثت معهم حول بركة السباحة.

في اليوم الثامن وصلها اتصال هاتفي، في هذا الوقت كانت قد سئمت جداً وتتمنى العودة إلى العمل..

ـ سنيوريتا؟ تليفونو!

كانت متمددة على الفراش الشمسي قرب البركة، مرة واحدة أمضت نهارها على الشاطىء.. كانت تفضل المكان هنا لأنها تشعر بسعادة أكثر مما تشعر في البحر.. لا شك أن الخادم مخطىء؟

ـ تليفون؟ لي أنا؟

ـ سي.. سي! پارا سنيوريتا دانايالا ماك أولى.

هذا تقريباً اسمها، لا مجال للغلط، لا بد أن هناك شيئاً خاطئاً! لم تعط رقمها وعنوانها سوى لأمها.

أمها! يا الله! والداها! لا يمكن أن يكون قد حدث شيء لأحد منهما؟

تبعت الخادم الصغير ودخلت المبنى الظليل لتنتزع سماعة الهاتف من العلبة التي أشار إليها.

لكن الخط كان صامتاً.

استدارت تنادي عاملة الهاتف.

ـ الخط صامت!

ـ سنيوريتا؟

ـ لا أحد هنا.. لا مخابرة!

ـ سي.. كانت سيدة.. سألت عنك.

بعد خمس دقائق انتظار، عادت دان إلى الشمس.. لقد حاولت موظفة الهاتف مرات ومرات دون جدوى.. وكانت إنكليزيتها مصقولة وحاولت أن تشرح أن هذا يحدث أحياناً.. الخطوط الدولية كلها مشغولة.. انتظري قليلاً ثم حاولي مجدداً.

لسوف تتصل بأمها، لن ترتاح قبل أن تفعل، فتشت عن ساعتها في الحقيبة.. إنها الحادية عشرة والنصف.. في أي يوم؟ الأحد. واستلقت إلى الخلف مغمضة العينين، قلقة. لماذا تتصل بها أمها في الحادية عشرة من يوم الأحد؟ ولماذا تتصل بها أصلاً؟ لا بد أن شيئاً فظيعاً قد حدث.. لا بد.

بعد عشر دقائق قررت محاولة الاتصال بأمها. كانت تعيد ساعتها إلى حقيبتها حين لمحته.. وتوقف قلبها.

مسمرة، فاغرة الشفتين، غير مصدقة، حدقت دانيالا براند وهو يسير نحوها.. بعد أن غطاها ظله، أدركت أنه حقيقي وليس وليد خيالها.

ـ مرحباً دانيالا.

لم يكن يبتسم، كان ينظر إلى عينيها بقلق وتأمل.. ثم قال ببساطة:

ـ لقد كنت أبلهاً بالكامل.. أيمكن أن نتكلم؟

دخلا معاً إلى مبنى الشقق البارد، دون كلام.. لم تقل دان كلمة ولا «مرحباً» فقد كانت مصدومة جداً، كانت تشعر وكأن ساقيها على وشك الانهيار تحتها.. كان في دماغها عشرات الأسئلة التي تدور وتدور.

نادتها عاملة الهاتف:

ـ سنيوريتا! لحظة من فضلك.. السيدة الإنكليزية على الخط.

لم تعد مذعورة فقد عرفت ماذا حدث:

ـ آلو.. هل هذا أنت أمي؟

ـ دانيالا.. أوه.. حمداً لله! حاولت الاتصال ليلة أمس لكنك كنت في الخارج. هل أنت بخير؟

ـ أجل.. أنا..

ـ عظيم، اسمعي.. أنا أتصل لأحذرك بأنك قد تتلقين مخابرة من راند.. لقد اتصل من فرنسا ليلة أمس وطلب أن يعرف مكان وجودك واعتقدت أنني أفعل ما هو صواب في إعطائه..

ـ إنه هنا أمي.. وصل منذ خمس دقائق.

ـ إنه هناك؟ شخصياً؟

ابتسمت دان دون مرح: شخصياً.

ـ أوه! أتساءل كيف فعل هذا؟ أنا.. حسناً.. سوف أنهي المكالمة الآن.. لا أستطيع أن أتصور.. أوه.. لا بأس.. ما أردت حقاً أن أقوله.. حظاً سعيداً حبيبتي.

أعادت دان السماعة بلطف، مفكرة.. أوه أمي! كم أنت على حق! لقد قلت يوماً إن الحياة تبدو لي سهلة.. أبيض وأسود.. كم كنت ساذجة يومها.. كم كان ينقصني.. لكنني لم أعد هكذا! لقد تعلمت الكثير في زمن قصير.

كان راند ينتظرها قرب السلم:

ـ إنها أمي.. اتصلت لتحذرني من أنك قد تتصل بي اليوم.

هز رأسه بابتسامة قاسية لا مرح فيها:

ـ حاولت الاتصال طوال يوم أمس. لم يكن لدي فكرة عن هذه العطلة.. أخيراً اتصلت بوالديك، افترضت أنك ذهبت إلى بلدتك لعطلة الأسبوع.

حين دخلا شقتها.. نظرت إليه جيداً.. كان شديد السمرة، متوتراً، قميصه مبقع بالعرق.. وبدا لها أقل أناقة، مرتدياً بنطلون جينز، حذاءه مغطى بالغبار.

ـ كيف.. وصلت إلى هنا راند؟ تبدو وكأنك جئت سيراً على القدمين.

كان يبتعد عنها بضع أقدام، يبدو مرتبكاً ووقفته تنبيء عن توتره..

ـ حصلت على توصيلة من فرنسا.. كنت أقيم في جنوبها مع صديق قديم في قيلته، لديه طائرته الخاصة.. وطلبت منه أن يوصلني إلى هنا. لم يكن هناك مجال للحصول على مقعد في طائرة تجارية.

ـ كان ذلك سهلاً عليك.

ـ أعرف عدة أشخاص يحبون الطيران إلى حد الجنون ولديهم طائرات خاصة.. لدي أصدقاء في مراكز رفيعة.

ضحكت دان وانكسرت حدة التوتر.. تقدم راند خطوتين ليضمها بين ذراعيه، ويداه تندسان في شعرها:

ـ أوه.. دانيالا.. دانيالا..

أغمضت عينيها غير قادرة على تصديق ما يجري، وأنه هنا. تعلقت به.. تتنعم بأمان أن تكون بين ذراعيه، تصلي شكراً لله.

تحركت مبتعدة عنه على مضض:

ـ دعني أحضر لك شيئاً تشربه.. لا بد أنك تشعر بالعطش، أترغب شيئاً بارداً؟ لدي بعض عصير الفاكهة في البراد.

ـ عظيم.. هل هناك مكان أستطيع أن أغتسل فيه؟

أشارت إلى الحمام.. في المطبخ صبت كوبين من العصير البارد، وضعتهما على الصينية مع الإبريق.. هبط الهدوء عليها.. سيكون كل شيء على ما يرام. ثم فكرت بميرلن.. وأسندت نفسها على المغسلة تهدىء نفسها.. وأخذت تدعو الله: أرجوك، أرجوك، دعني لا أكتشف أن ميرلن هي المسؤولة عن هذا.. لو أنه اتصل بها بالأمس، لو أنه اتصل بها أولاً.. لو أنها قالت له..

ـ حبيبتي.. دعيني آخذ هذا عنك.

أخذ الصينية عنها إلى غرفة الجلوس وجلس متعباً في مقعد.. ثم دفع بكل العصير من الكوب في حلقه.. وأعاد ملئه من الإبريق.

ـ شكراً.. كنت أحتاج إلى هذا.. دانيالا.. أوه.. دانيالا.. أيمكن أن تسامحيني؟ أعرف ما الذي تسببته لك.

قالت بصوت ثابت لا يعكس ما يجري داخلها:

ـ أستطيع أن أسامحك على كل شيء.. لماذا أنت هنا راند؟ ماذا تريد أن تقول؟

ـ أريد أن أقول إنني أحبك.. إنني لا أستطيع العيش دونك.. لكن دعيني أقول هذا.. بالطبع يمكنني أن أعيش دونك، لكنني لا أريد.. فأنا أريدك.. أريدك زوجة لي، أماً لأولادي، رفيقتي، صديقتي، عشيقتي. أريدك أن تكملي حياتي.. أحتاج إليك.. أنا..

وصمت غير قادر على أن يكمل.

سمعت دان الغصة في صوته وأخذ رأسها ينحرك ببطء من فوق إلى تحت متفهماً.. وأغمضت عينيها.. طلب يدها جميل جداً.. حين فتحت عينيها كان فيهما دموع.. أطلقت نفساً طويلاً وكافحت لتستعيد صوتها:

ـ وماذا عن ميرلن؟

بدا كأنه تلقى صفعة منها: أستحق هذا.

ـ لم أكن أعني هذا. أوه.. حبيبي.. لا يمكن أن تظن أنني كنت

أهاجمك! ولأجل ماذا؟ لأنك تحب أختك، لأنك تهتم بها كثيراً؟ ألا تظن أن إعجابي بك يزداد لأجل هذا؟ ألا تدري أن هذا هو أحد الأسباب الكثيرة التي أحبك لأجلها؟

بدت الحيرة على راند: لكن بالتأكيد..

ـ لكن لا شيء.. لا ضرورة لشرح شيء.. أفهم تماماً! أنا لم أوافق معك أبداً، لكنني فهمت ما هي دوافعك.. مزيج من الحب وعقدة الذنب.

كان ينظر إليها مباشرة وعمق حبه لها لا مجال للخطأ فيه.. وقال بهدوء:

ـ يا إله السموات.. كم كنت غبياً.. أبلهاً.. في ابتعادي عنك! عندما أفكر..

وضعت يدها تقاطعه: راند.. ماذا قالت لك ميرلن؟

بدا مرتبكاً: عن ماذا؟

ـ عن رغبتك في الزواج مني.. هل تظنها فكرة جيدة؟

ـ إنها لا تعرف.. ولا تعرف أنني أحبك. لم أتكلم معها منذ أمد طويل.

بدأت دان تضحك، والدموع تتدفق على وجنتيها.

ـ أوه.. راند! تعال.. تعال وضمني.. حبيبي.. ضمني إليك.

أطاع متحركاً بسرعة ليجلس إلى جوارها على الصوفا.. يضمها بين ذراعيه وكأنه مصمم على أن لا يتركها أبداً.. ولم تحاول إيقاف الدموع ولا الضحك. مرة سألها أحدهم ما إذا كانت تعرف أن من المستحيل جسدياً على شخص ما أن يبكي ويضحك معاً.. وقالت له لا.. لا تعرف هذا.

أوه.. كم كانت مخطئة!

ميرلن لا تعرف أنني أحبك..! واشتدت ذراعاها حول زوج المستقبل وهي تبكي بسعادة وتبلل قميصه.. أخيراً أبعدها:

ـ لماذا كل هذا؟

وكان من المهم جداً أن تجيبه بصدق:

ـ أنا مرتاحة حبيبي.. أنا.. أنا لم أكن واثقة أنك هنا للأسباب الصحيحة.. أنك هنا لأنك تحبني بما يكفي..

ـ أعتقد أنني أعرف ما تعنين.. لقد ظننت أنني ناقشت هذا مع أختي.. ولو أنني فعلت، فأنت تعرفين جيداً ما كانت ستقول لي.. أنت محقة بشأنها. ليلة قلتِ إنها سترتاع لسماع ما كنت أقوله لك، كنت محقة تماماً.. وكنت أعرف هذا.. حتى وأنا أرفض المنطق الذي كنت تواجهينني به.. أترين يا حبي، كل شيء قلتِه لي، قالته لي ميرلن منذ سنوات بعيدة.. وأنا آسف، ولا أستطيع أن أقول كم أنا آسف.

وقف يتقدم إلى أحد الرفوف، وأسند نفسه إليه وكلتا يديه خلف ظهره:

ـ أنت تفكرين أن تعلقي بها غير طبيعي.

ـ هذا ما أظنه تماماً.

تقبل هذا.

ـ حسن جداً. لكن ضعي هذا في الماضي.. لأنني تغيرت.. حبيبتي دعيني أشرح ما حدث لي منذ آخر مرة كنا فيها معاً.. لكن قبل أن أفعل هذا، يجب أن أخبرك أمراً آخر حول ما قلته أنني بحاجة إليك. أنا لم أكن بحاجة إلى أحد من قبل.. وأعرف أن هذا يبدو تعجرفاً، لكنه حقيقة. كان اكتشافي أنني بحاجة إليك صدمة لي.. إنها تجربة جديدة! فكري بنظام حياتي: أنا رب عمل لعدة أشخاص.. ولست مضطراً للعمل.. لكنني أختار أن أعمل.. كانت الناس دائماً تحتاجني.. وهناك ميرلن.. أجل. إنها تحتاجني إلى مدى معين.. وكما قلتِ، بقدر ما أنا أخوها. وليس كما تركت نفسي أؤمن.. وهذا كل ما ستحصل عليه مني في المستقبل، عناية أخ عادي بأخته.

هز رأسه:

ـ ليس فيها شيء عاجز، ولم يكن هناك أبداً.. إنها قوية.. مع

ذلك، طالما نظرت إليها كشقيقتي الصغيرة.. تحتاج إلى مراقبة لأنها عمياء، ولأنه يناسبني أن أؤمن بهذا.

ابتسم وهو ينظر إليها:

ـ كما ستدركين، لقد سامحت نفسي أخيراً.. ما حدث لميرلن.. كان سوء حظ.. حادثة.

ردت دان ابتسامته، إنها الآن فخورة به!

ـ لكن هناك المزيد دانيالا.. لقد خذلتك وجعلتك تمرين بالجحيم.. ويجب أن تعرفي أن هناك أكثر من تفكيري بميرلن ما دفعني للانفصال عنك.

عضت على شفتها، لقد سبق وتساءلت عن هذا وأحست منذ زمن بعيد أن لديه أسباباً غير التي أظهرها. وتابع راند يروي لها القصة التي روتها ميرلن عن خطوبته لساندرة غريرسون يوم كان في التاسعة عشرة من عمره، وعن وفاة والديه المفاجىء.

ـ كانت تجربة غريبة.. ولا أعني فقط موت والديّ.. بل أعني ما حصل مع ساندرة. بعد ترك ميرلن للبيت وانتقالها إلى دار «فورست هيل» عدت إلى كامبردج.. كان في ذهني آخر مرة التقيت فيها ساندرة أنني مجنون بحبها.. فجأة، لم يعد هناك شيء حين وقعت عيناي عليها، لم أعد أذكر ما الذي أعجبني فيها.. ما هو الشيء الذي سحرني.

نظر إلى دان نظرة اعتذار:

ـ آسف مرة أخرى حبيبتي.. لكنني كنت متأكداً واثقاً أن شيئاً مماثلاً سيحدث معك.. بينك وبينها فاصل ثمانية عشر سنة.. وطوال ذلك الوقت لم تؤثر عليّ امرأة إلى درجة مميزة.

ـ هذا لأنك لم تسمح لهذا أن يحدث.

تحدتها ابتسامته:

ـ أوه.. حقاً؟ كيف إذن وقعت في حبك.. علقت بالطعم والصنارة؟ كيف إذن «سمحت» لهذا أن يحدث معك؟ لماذا أنا هنا أركع

على ركبتي وأتوسل إليك أن تتزوجي مني؟

كان يبتسم كالقط الذي يواجه الجبنة. ومن يستطيع الإجابة على هذه الأسئلة؟ من يعرف لماذا يقع الناس في الحب؟ كيف يحبون ويكونون على ما يرام معاً؟ بينما عشرات غيرهم لا يحصل لهم هذا؟

ـ هذا لأنني مميزة جداً ومن حسن حظك أنك قابلتني.

تلاشت ابتسامته، وعيناه ترجوانها أن تفهم:

ـ بالضبط! كنت خائفاً دانيالا.. خائفاً، بصراحة وبساطة.. ما شعرت به تجاه ساندرة لا يقارن مع ما شعرت به نحوك.. حين كنت في نيويورك لم أكن أستطيع التفكير بجلاء.. لم أكن مشغول الفكر هكذا يوماً، غير كفؤ. اشتقت إليك كما لم أشتق إلى أحد من قبل، إلى درجة أنني غضبت من نفسي.. التقطت الهاتف لأخابرك عشرات المرات وأجبرت نفسي على إعادتها. قاومت مشاعري نحوك فقد جعلتني أشعر أنني غير مستقل وهذا ما لم أكن معتاداً عليه.. يجب أن أكون صادقاً.. فكرت كثيراً أن فتنتي بك مجرد جسدية.

ـ لكنها كذلك.

رمى رأسه إلى الخلف ضاحكاً:

ـ بالطبع أيتها الساحرة الشريرة! لكنني أحب تفكيرك أكثر مما أحب جسدك، على أي حال، هذا قد يتغير ما إن.. أقوم بتجربات أخرى.

كانت على وشك رد جريء، لكنه تابع جاداً:

ـ حين قاطعنا جارك الأبله.. أنا.. أوه.. لست أدري! عدت إلى الواقع مصدوماً وسألت نفسي ماذا أفعل.. كنت أشعر أنني لا أستحق مثل هذه السعادة.. وكان هذا جزءاً من إحساسي بالذنب طبعاً. من ناحية أخرى لم أستطع أن أصدق أن ما بيننا حقيقي وأنه سيدوم.. حدث كل شيء بسرعة وفي ظرف بضع أسابيع.. ولم يدخل الزواج بك في رأسي..

نظرت دان إلى الأرض متفهمة.. راند لوماكس رجل معقد.. عاش

لسنوات عديدة في حالة ذهنية انقلبت إلى عادة.

وكأنما قرأ أفكارها.

ـ كنت عنيداً في أفكاري.. وكلانا يرى هذا الآن. عنيداً، متصلباً، ولزمني هذا الوقت الطويل لأعود إلى عقلي.. وكان عليّ أن أتكيف كما أعتقد.. لا.. هذا ليس صحيحاً، لم أكن بحاجة أن أتكيف لأنني مع مرور الوقت وجدت أن لا خيار لي في المسألة.. وبقدر ما حاولت، ولقد حاولت طوال الوقت، لم أستطع إخراجك من تفكيري.. وكان عليّ أن أتعلم كيف أتقبل الواقع. بكلمات أخرى.. آنسة دانيالا فرانسيس ماكولي، بكالوريوس في الفنون.. لقد وقعت أسير سحرك، أنا مجنون بك.. أحتاج إليك.. وأحب حاجتي إليك! والآن.. تعالي إلى هنا..

ـ لا.

ـ ماذا قلت.. سيدتي؟

ضحكت: قلت لا.

واتجهت إلى المطبخ لإحضار المزيد من العصير.. مكملة:

ـ هذا غير محتمل! أتظن أنني سأسمح لك أن تعانقني وأنت لم تقل لي بعد لماذا خرجت مع ڤيني لوردلي؟ هذا يوم كان من المفترض أنك تحبني! ولا أظن أنني أصدق كلمة مما..

لم تستطع الابتعاد والتفت ذراعاه حول خصرها:

ـ أيتها الساحرة الشريرة!

بدأت معركة.. لكن صغيرة، قبل أن تستدير لتعانقه. استمر العناق أكثر من دقيقة كاملة.. وكانت دان هي التي ابتعدت لتقول بصوت أجش:

ـ ماذا كنت أقول؟ آه أجل، عن المرأة الأخرى!

رفع حاجبه سخطاً:

ـ وماذا عنك وأنت مع هوارد غالايز؟

إذن لقد شاهدها!

ـ هاي، ذلك أمر مختلف! إنه هوارد فقط.

ـ وكانت تلك مجرد ڤيني..

ـ إذن لماذا خرجت معها؟

ـ لأنها هي التي اتصلت بي وطلبت الخروج معي، الأمر الذي أنا واثق أنها ندمت عليه فيما بعد.. لأنني كنت يائساً لشيء يلهيني.. لأنني كنت اشتريت تذاكر الحفلة منذ مدة طويلة.. حجزتها أول يوم أخذتك فيه للغداء.. حين عدت إلى مكتبي، حجزت تذاكر كثيرة مقدماً ترقباً ليوم انتهاء مسرحيتك.. كنت أنوي السيطرة على كل أمسياتك.. وكنت قد قلت لي ما الذي يعجبك بالنسبة للمسارح.

ـ حسناً.. لقد كنت، ولا تزال، من النوع الكثير التفاؤل.

ـ وبشدة.. تلك الليلة في الباليه.. وعند رؤيتك هكذا، ودون انتظار.. لم أعد أريد المخاطرة بحدوث هذا مجدداً.. فذهبت لأختبيء.. كان يجب أن أبتعد عن لندن.. سافرت إلى أمستردام في الأسبوع التالي.. متظاهراً حتى لنفسي أنني ذاهب في رحلة عمل.

ابتسم بخشونة وهو يقترب منها مجدداً، وتجنبته وقلق من نوع جديد يلح على دماغها:

ـ لا! أعني.. دعنا نحصل على شيء نأكله أولاً.

هز كتفيه:

ـ إذا كنت مصرة.. ما بك؟

ـ لا شيء.. أنا جائعة فقط.. ألديك غيار ملابسك معك؟

ـ طبعاً.. لقد استأجرت سيارة وحقيبتي في صندوقها.

وضعت يديها على كتفيه: راند.. ماذا ستفعل الآن؟

ـ أجد صعوبة في اللحاق بأفكارك.. حول ماذا؟

ـ حولنا.. حول كل شيء.

ـ آه.. هذا أمر بسيط.! أولاً سنغير ثيابنا ونخرج بحثاً عن طعام، ثم نعود ونتصل بأبويك. سنعلن لهما أننا سنتزوج في أسرع وقت ممكن

وسنبدأ العد العكسي والتحضير للعرس، أعتقد أنك سترغبين في الزواج في كنيسة بلدتك؟

هزت رأسها.. هذا ما يريده أبواها، وأجل، ما تريده هي أيضاً.. لكنها كانت تتساءل عن المستقبل الأقرب..

ـ ثم نتصل بميرلن.. ونخبرها الخبر الجيد، ثم ماذا؟

ـ نتصل بشركة الطيران وإذا لم تحصل على رحلة عودة في الغد سأتصل بأحد أصدقائي وأرى إذا كان بالإمكان أن ينقلنا.. وإذا فشل هذا.. سأستأجر طائرة خاصة تعيدنا إلى الوطن.

شهقت: نستأجر طائرة؟ لكن فكر بالمصروف!

ضحك راند لهذا: ربما أنت على حق.

وضع يديه حول خصرها:

ـ ربما يجب أن نبقى هنا لبضعة أيام.. ننتظر رحلة تجارية.. في مثل هذا الوقت من السنة، سيكون الأمر صعباً.. لكن يوجد كل شيء نحتاجه هنا. أليس كذلك؟ الشمس، البحر، بركة سباحة..

استدار ينظر إلى غرف النوم فصاحت محرجة تتخلص من بين يديه:

ـ أوه.. لا!

أمسكها مجدداً وأدارها إليه:

ـ دانيالا؟ ما بك؟ حبيبتي.. أرجوك.. هناك شيء خاطىء.. فما هو؟

ـ المسألة أنني أريد أن أحتفظ بطهارتي إلى ليلة زفافنا.

انفجر راند ضاحكاً.. ثم حضنها يغطي وجهها بالقبلات.

ـ أيتها الحلوة الحبيبة الحمقاء! أوافق حبيبتي... هيا الآن، اذهبي وغيري ملابسك... على الأقل يمكنني أن آخذك لتناول الطعام!

استحمت دان، ووقفت تحت رذاذ الماء وقلبها يغني فرحاً.. وعادت ميرلن لتحتل أفكارها مجدداً. إنها لا تطيق انتظاراً لتكلمها.. ميرلن ستكون سعيدة جداً.. سيدة أخرى سعيدة!

لم يتناولا الطعام في الشقة، بل ركبا السيارة وسارا بمحاذاة الساحل إلى أن وجدا مطعماً جميل المظهر حيث يستطيعان تناول الطعام في الخارج.. دان الشرهة دائماً، أكلت حتى امتلأت ودفعت طبقها بعيداً.. لتجد راند يراقبها.

ـ أعتقد أن والدك على حق.. أنت فعلاً تأكلين كحصان.. لكنك تفعلين هذا بتلذذ!

ـ سوف أكلفك ثروة لأجل الطعام.

ـ ثروة؟ ماذا سيكون الأمر وأنت حامل وتأكلين لاثنين؟

ـ سننتظر لنرى.. حبيبي.. ذهبت لرؤية ميرلن الأحد الماضي، اتصلت بي تطلب مني زيارتها لتتكلم.

لم تبدُ عليه الدهشة:

ـ لا بد أنها فكرت بأن تصرفي غريب في الأسبوعين الماضيين.

ـ لا.. بالعكس.. كانت تعرف بالضبط.. ما تمر به.

ولم يدهشه هذا كذلك: وهل تعرف أنني أحبك؟

ابتسمت:

ـ عرفته قبل أن تعرفه أنت.. إنها امرأة مذهلة راند.

ـ أوليس كذلك؟

بدأت تضحك:

ـ لكنني سأعتاد عليها.

ـ وماذا يضحك؟

امتدت أيديهما تحت الطاولة في الوقت ذاته:

ـ راند هل تخبرني الآن قصة فيليبي الفاريز؟ أنا شديدة الفضول.. أرجوك.

ضغط على يدها:

ـ يائسة.. هه؟ لا يمكننا تحمل هذا! ماذا تريدين أن تعرفي يا حبي العزيز؟

ـ حسناً.. لقد أخبرتني ميرلن عن لوحة السيدة ذات الرداء الزهري.. وأن القاريز كان يقيم في منزلكم.. وأفهم الآن سبب ما تعنيه تلك اللوحة لها ولماذا تحتفظ بها، لكن هل بسبب أنها لأمكهما، لم ترغب في أية دعاية لها؟

ـ جزئياً.. لكنها كانت فكرة ميرلن. لا تريد أن يزعجها أحد بالأسئلة عن اللوحة، ولا تريد كذلك أن يتصل بها أحد طالباً شراءها.. أعمال القاريز ستصبح ذات قيمة مرتفعة في السنوات القادمة.. ومن الطبيعي أن لا أنا ولا ميرلن نريد الافتراق عن تلك اللوحة.

ـ و.. ماذا بعد؟

ضحك:

ـ أنت لا يفوتك الكثير.. أليس كذلك؟

ـ ولا أنت.. هيا الآن.

ـ الباقي مجرد تخمينات.

ـ هذا بالضبط ما قالته ميرلن!

ـ طبعاً.. فلقد أمضينا ساعات نخمن معاً.

ـ عن..

وترددت.. لم تكمل إلا حين لم يعبس ولم يظهر أثر للغضب على وجهه:

ـ.. عن القاريز وأمك.. كان يحبها.

ـ لقد لاحظت هذا إذن! لقد درست اللوحة جيداً.

ـ مطولاً.. ولقد لاحظت على الفور.. كل ضربة فرشاة كانت كالمداعبة.

تأثر راند..

ـ أنت فعلاً لديك إحساس عميق بالموضوع.. أليس كذلك؟ حسن جداً نستطيع القول أنه كان يحب أمي، أما بالنسبة لها.. هنا تدخل التخمينات.. ميرلن وأنا كنا في العاشرة من عمرنا في ذلك الوقت.. ولا

نعرف ما إذا كان كان قد حصل شيء بينهما. والدي كان يعرفه.. والتقى به خلال عمله حسبما أعرف.. وكلفه رسم لوحة لأمي. فجاء ليقيم معنا وهو يرسمها.. لكنه أقام مدة أطول مما كان متوقعاً..

ـ اللوحات الست، السلسلة التي وضعتها في معرضنا.. رسمها هناك أولاً.. كان غباء مني، لكن لم أكن أدرك أنها تمثل منزلكما والأراضي المحيطة به.. لهذا بقيت اللوحات مخبأة ومنفصلة عن بقية مجموعتك.

لم يسأل كيف عرفت كل هذا:

ـ هذا صحيح.. وهو مثل آخر لحماقتي.. لا تقلقي حبيبتي، لن أبقيها محفوظة «بالنفتلين» بعد الآن.. لهذا سمحت لتشارلز أن يعرضها ولو أنني احتجت إلى دفع من ميرلن.. لكنني أدركت أن الوقت حان لتعرف العالم إليها بما فيها لوحة السيدة ذات الرداء الزهري.. وهذا إنصاف لمحبي الفن وللفنانين.

تابع: على أي حال. كان القاريز يحب المنزل، الأملاك كلها.. رسم السلسلة أولاً لمجرد أنه أحب أن يفعل، أو لأنه وقع في الحب ورغب في البقاء أطول مدة ممكنة! يا للشيطان المسكين.. مات في السنة التالية نتيجة نوبة قلبية.. لكن هناك شيء واحد مؤكد، لو كان لأمي علاقة معه، لكانت بأقصى السرية.. أنا وميرلن لم نعرف بها أبداً، ولا أبي.. لا مجال للتساؤل في هذا.

ـ قالت ميرلن إن والدك كان مجنوناً بحب أمك.

ـ قطعاً.. وأعتقد أنها كانت تبادله هذا الشعور.

ـ تعتقد؟

هز كتفيه:

ـ وماذا عليّ أن أظن؟ كيف لي أن أسوي الأمر كله؟ ميرلن تعتقد أن المرء يمكن أن يحب شخصين في الوقت عينه.. لكنني لا أؤمن بهذا.

قالت: أنا يمكن أن أميل إلى حل وسط، وأعتقد أن المرء من الممكن

أن يحب شخصين في وقت واحد.. ثم ماذا تعرف أنت؟ أنت حديث العهد في هكذا موضوع.

ـ حقاً؟ وأنت الخبيرة؟

ـ أعطني بعض الوقت.

ـ أوه.. سأفعل هذا حبيبتي.. سأفعل!

ولسنوات عديدة.

وانحنى يعانقها، شاهدتهما فتاة صغيرة شاهدتهما وبدأت تضحك.. فنظرت دان إليها ولاحظت احمرارها. وعادت إلى راند لتراه يبتسم للفتاة.. التي كانت في سن التاسعة أو العاشرة.

ـ راندولف لوماكس.. أنت لا تطاق! أعرف أن لديك ضعفاً تجاه الفتيات الجميلات.. لكن حقاً، أنا لم أصل بك بعد إلى الكنيسة، وها أنت تحوّل عينك إلى سيدة صغيرة!

ـ تغارين.. حبيبتي؟

ـ بجنون.

أمسك يدها الأخرى ورفع الاثنتين إلى شفتيه:

ـ لا تغاري! لن أعطيك سبباً للحظة غيرة، والآن اسمعي.. حول المنزل..

ـ منزلك؟

ـ منزلنا لو أحببت، أعرف أنك شاهدت رسماً له فقط. لكن ما هو شعورك حول العيش هنا؟ إنه مكان عظيم.. لا وصف آخر له.

لم يكن لدان وقت لتفكر بهذا.. أما الآن:

ـ كم هو كبير.. بالضبط! كم غرفة فيه؟

أخذ نفساً عميقاً:

ـ فيه إحدى عشرة غرفة نوم.. غرفة ألعاب، غرفة بليارد، ستة حمامات.. في الطابق الأرضي هناك..

لم تستطع تجاوز «الإحدى عشرة غرفة نوم!»

ـ كفى!

كانت ردة فعلها الفورية أن تقول لا.. برأيها هذا كبير جداً.. لكن ما هو شعوره؟ إنه يدفع مالاً للحفاظ عليه منذ سنوات طويلة.. ثم إنها يجب أن تفكر بميرلن.. إنها تعرف المنزل جيداً، وبالتأكيد ستكون زائرة دائمة بعد أن يتزوجا.. وتذكرت كيف هي ميرلن، ستكون مرحباً بها متى أرادت الزيارة..

ـ دانيالا؟

ـ أنا.. لست أعرف حقاً ما أقول.

ضاقت عيناه:

ـ هذا غير صحيح.. لقد وازنت عدة أفكار في رأسك.

ضحكت:

ـ أوه.. راند.. كيف حدث أنك تعرفني جيداً ولا تعرف أختك نصف ما تعرفني؟

ـ آه.. إذن هذا ما تفكرين به.. انسي أمر ميرلن، لا شأن لها بهذا.. إنه قرارنا نحن.. الآن أخبريني ماذا يقول لك حدسك!

ـ يقول لي أن نجد مكاناً جديداً.

بدا الارتياح عليه: موافق.

المنزل، مع كل ما له علاقة بالماضي، يجب أن يبتعد عن الحاضر.. يجب أن يباع.

مالت دون تفكير تقترب منه، ورفع رأسه نحو السماء.

ـ دانيالا.. أرجوك تذكري أين نحن.

ـ أنت شخص الكلام معه رائع! كنت فقط أفكر بعدد غرف النوم..

ـ لكنني أفكر بالأسرّة.. سرير واحد بشكل خاص.

ـ.. وكم ولداً سننجب؟

ـ حسناً.. نحن تقريباً نفكر على الموجة ذاتها.. تقريباً!

لكن وصول الساقي مع الفاتورة جعلهما يبتعدان. ثم جلسا في

الشمس، قانعان أن يضحكا ويحلما، وأن يتمتعا بتوقعاتهما.

بعد خمس ساعات من هذا كانا في طريق العودة إلى انكلترا.. في الطائرة المتجهة إلى مانشستر ذلك المساء.. كان والدا دانيالا سيأتيان بالسيارة لمقابلتهما وهما في حالة ابتهاج..! ابنتهما ستتزوج، وبعد الغد سيكون الاحتفال بعيد ميلادها الرابع والعشرين.

لم تندهش ميرلن أبداً.. بل قالت ببساطة:

- لقد حان الوقت لهذا! لكن يجب أن تعذراني! أهنئكما وكل شيء.. لكن يجب أن أنهي المكالمة.. داني قادم ليأخذني بعد عشرين دقيقة، وأنا لم أرتدِ ملابسي بعد.. لقد فاجأتماني وأنا في الدوش.

بعد أن انتهت المكالمة، سأل راند: من هو داني؟

هزت دان كتفيها، وقالت ناعسة: لماذا لا ننتظر لنرى؟

هزها:

- حبيبتي؟ هل ستتزوجين؟ هل سئمت مني.. هه؟

- هذا أمر صعب! لكنني كنت أريح عيني فقط.

- أهذا هو عذرك؟

- وألتزم به.

كانت المضيفة تتجه نحوهما، ووضعت دان ذراعها تحت ذراع راند واندست في كتفه:

- وسألتزم بك.. حبيبي.. وإلى أبد الآبدين!

* * *